

تأويل السلف لصفات الله تعالى سبحان الله

تأليف
أد محمد ربيع جوهري

استاذ العقيدة بكلية أصول الدين
وعميدها السابق - جامعة الأزهر



سبحان الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير رسل الله سيدنا
ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداة .

وبعد : فوسط هذا الصباح والنياح ، ومع هذه الضجة
الجائرة الفاجرة ، ومع هذا الهجوم الظالم الآثم ، على هذا
الصرح العظيم الشامخ (الأرهر الشريف) الذي نشر علماءه
الأفذاذ خلال قرون علوم الإسلام في شرق الدنيا وغربها ،
وشمالها وجنوبها ، بل ودخل على أيديهم بركة إخلاصهم
لدينهم كثيرون في هذا الدين الحنيف .

ومع هذا الاختراق الذي أصاب بعض المنتسبين إليه
بالمعقوق ، والجحود ، والتكران له رغم أنهم تربوا على نفقته ،
ومُنحوا درجاته وشهاداته ، ولولاه ما كانوا شيئا مذكورا .

وقد رأينا بعضهم بعد أن كانوا حفاة ، عراة ، عالة ، صاروا
يتطاولون في البنيان ، ويعددون في النسوان ، ويركيون ما

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

رأى القضاة

رقم الإيداع
٢٠١٣/١٦٧٨

الناشر

مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع

٤ شارع أحمد سوكارنو - العجزة - فاكس : ٣٣٠٤٤٨٤١

هاتف : ٣٣٤٥٢٣٠٢ - محمول : ٠١١٣٣٧٥٣٧٥

elemanlibrary@yahoo.com

شاءوا من سيارات، بعد أن سالت في أيديهم الريالات والدولارات .

فما أعجب هذا الاختراق الفكري، الذي يعقبه ذلك الشرف المادي !

واليوم يدفعهم الشره، والطمع، وحب الدنيا للتطلع إلى الوظائف المرموقة، والمناصب العالية الزائلة الموقوتة، ففسوا ما درسوه، وتنكروا لما تعلموه فاستوردوا عقيدة بدل عقيدة، وجلبوا منهجا بدل منهج ففسوا ما ذكروا به، وما بقوا (أزهريين محترمين) وإنما لفظتهم الجماهير أصحاب القطر السليمة، فصاروا لهم كارهين، وعليهم غاضبين، ولهم لاعنين، فخسر أولئك العلم والدين . ذلك هو الخسران المبين .

وسط هذا الجو أقدم هذا الكتاب : (تأويل السلف للصفات الواردة في كتاب الله)، بعد أن زج هؤلاء بالعامية عن طريق وسائل الإعلام في موضوعات علمية دقيقة، خاصة بالعلماء المتخصصين، وما دروا أن العلم للنفس كالفداء للبدن، يختلف بحسب العمر والظروف، فطعام الكبير لا

يصلح للفتيم، وطعام الفتيم لا يصلح للرضيع، وللصحيح غذاؤه، وللمريض غذاؤه ودواؤه .

وبعد أن سمعنا التطاول على «الأزهر الشريف» لأنه نشر خلال قرون (المذهب الأشعري) في العقيدة، والذي تلقته الأمة بالقبول والارتياح، لما امتاز به من وسطية في فهم عقيدة الإسلام دون إفراط أو تفريط، ولأن علماء المذهب يؤولون بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عندما تفرض الضرورة ذلك طبقا لقواعد اللغة العربية التي نزل بها القرآن، ونطق بها من أوتي جوامع الكلام .

فزمي الأزهر باليدعة والمروق . وصارت (الأشعرية) في نظرهم فرقة (نارية) وليسوا من أهل السنة والجماعة .

وكتب أحد رموزهم عن التأويل يقول : «ومعناه المبتدع : صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى احتمال مرجوح لقريئة . فهو بهذا المعنى تحريف للكلام عن مواضعه » هكذا زعم !

وقال : «مذهب السلف لا تأويل فيه لنص من النصوص

الشرعية إطلاقاً، ولا يوجد نص واحد :

لا في الصفات . ولا غيرها .

اضطر السلف إلى تأويله « هكذا ادعى !

فكان بحثنا هذا لتسجيل عشرات النصوص في :

الصفات ، وفي غيرها مما أوله السلف من أهل القرون الثلاثة
المفضلة - رحمهم الله .

وقد قرنا كل نص بمرجعه ، ولم نضع المرجع في الحاشية
لتسهيل المتابعة ، ولا يتردد بصر القارئ بين أصل الصفحة
وذيلها .

وقد اقتصرنا على ما يتصل بالآيات القرآنية ، ولعلنا
نتمكن - إن شاء الله - من نشر ما يتصل بالأحاديث النبوية إن
كان في العمر بقية .

لكننا نكتفي في هذه المقدمة بذكر ثلاثة أحاديث نبوية مع
ذكر تأويلها :

الحديث الأول - وفيه تأويل الصحابة رضي الله عنهم
لحديث النبي ، وعدم الأخذ بظاهره ، وإقرار النبي ﷺ لهم .

الحديث الثاني - وفيه نص للنبي ﷺ لم يُرد ظاهره ، ولم
يكشف ذلك إلا بعد موته .

الحديث الثالث - وفيه تأويل للإمام البخاري رحمه الله
وتصريح بالحقيقة والمجاز وذلك أساس التأويل .

أما الأول : فما رواه مسلم عن عبد الله قال : نادى فينا
رسول الله ﷺ يوم انصرف من الأحزاب : « أن لا يُصَلِّيَنَّ
أحد الظهر إلا في بني قريظة » فتحوف ناس فوث الوقت ،
فصلوا دون بني قريظة . وقال آخرون : لا نصلي إلا حيث أمرنا
رسول الله ﷺ وإن فاتنا الوقت . قال : فما عتف واحداً من
الفريقين - (٣ / ١٣٩١) .

فالفريق الأول أول النص بأن المراد : الإسراع في المشي
للوصول إلى بني قريظة .

والفريق الثاني أخذ بظاهر النص الذي ينهى عن صلاة
الظهر إلا في بني قريظة .

وقد أقر النبي ﷺ كلا من الفريقين على ما ذهب إليه :
من أخذ بالظاهر ، ومن أول .

الحديث الثاني - ما رواه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لأزواجه : «أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً» .

قالت عائشة : فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمدُّ أيدينا في الجدار نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وكانت امرأة قصيرة ، ولم تكن أطولنا ، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة ، (المستدرک ٤ / ٢٦) .

والحديث واضح في أن النبي ﷺ لم يُرد المعنى الظاهر بطول اليد الذي فهمته أمهات المؤمنين ، فكأن يقشن أيديهن على الجدار ، أو بعضاً ، كما في بعض الروايات لمعرفة أيتهن أسرع لحوقاً بالنبي ﷺ بعد وفاته ، وهذا هو المعنى الظاهر المتبادر من العبارة .

ولكن لما توفيت زينب بنت جحش قبلهن ، فكأنت أسرعن لحوقاً به ﷺ علمن أن المراد بهذا الحديث ليس المعنى الظاهر الذي تبادر إليهن ، فزينب لم تكن أطولهن يداً

حقيقة ، بل كانت امرأة قصيرة .
فعرفن أن المراد بطول اليد كثرة ما كانت تصدق به من دخلها من صنع يدها .

الحديث الثالث - حديث رواه البخاري عن أنس قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، قال : وقد فرغ أهل المدينة ليلاً . سمعوا صوتاً قال فتلقاهم النبي ﷺ على فرس لأبي طلحة عُرِي ، وهو متقلد سيفه فقال : لم تراعوا ، لم تراعوا ، ثم قال رسول الله ﷺ : وجدته بحرّاً . يعني الفرس » . [فتح الباري ٦ / ١٨٩] .

هذا الحديث أوّله الإمام البخاري مع غيره من نصوص فقال : « إن أكثر مغاليط الناس من هذه الأوجه : الذين لم يعرفوا المجاز من التحقيق ، ولا الفعل من المفعول ، ولا الوصف من الصفة ، ولم يعرفوا الكذب لِم صار كذباً ، ولا الصدق لِم صار صدقاً .

فأما بيان المجاز من التحقيق . فمثل قول النبي ﷺ للفرس : « وجدته بحرّاً » وهو الذي يجوز فيما بين الناس .

وتحقيقه أن مشيه حسن .

ومثل قول القائل : علم الله معنا ، وفينا ، وأنا في علم الله .
وإنما المراد من ذلك : أن الله يعلمنا . وهو التحقيق .

ومثل قول القائل : النهر يجري ، ومعناه : أن الماء يجري ،
وهو التحقيق .

وأشباهه في اللغات كثيرة . (أعمال المباد والرد على الجهمية
ص ٢٠٩) .

هذه الأحاديث الثلاثة أرجو أن يتأملها جيدًا أولئك الذين
يحرمون التأويل ، ويمنعون المجاز في اللغة العربية ، ويدّعون
من يقول بذلك ، ويطعنون في عقيدته ، ويخرجونه من (أهل
السنة) .

والله أسأل أن يتور البصائر ، ويطهر القلوب ، ويوحّد
الصفوف ، وأن يرزقنا جميعًا الإخلاص والقبول ، وأن يوفقنا
لعمل الخير ، ونخير العمل .

المؤلف

أ . د محمد ربيع جوهري رفاعي

مدخل

درسنا في المعاهد الأزهرية ضمن المناهج الدراسية للسنة
الأولى الثانوية في المستنات (علم البيان) أحد علوم البلاغة التي
أسسها علماء المسلمين من أجل بيان أسرار بلاغة القرآن
الكريم ، وكان من أهم مباحث هذا العلم مبحث (الحقيقة
والمجاز) .

وكل منهما إما عقلي ، أو لغوي :

والحقيقة العقلية هي : إسناد الفعل أو معناه إلى ما هو له
عند المتكلم في الظاهر .

والمراد بمعنى الفعل : المصدر ، واسم الفاعل ، واسم
المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفصيل ، والظرف ،
والجار والمجرور .

والمجاز العقلي هو : إسناد الفعل أو معناه إلى غير ما هو له
عند المتكلم في الظاهر لعلاقة ، وقرينة مانعة من إرادة المعنى
الأصلي .

مثل قوله تعالى : ﴿وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ ءَاثِمُهُم رَادَّتْهُمْ إِيْمَانًا﴾ فالآيات لا تزيد الإيمان ، وإنما الذي يزيده هو الله تعالى بسبب الآيات ، والعلاقة هنا هي السببية ، والقرينة استحالة وقوع الفعل من الآيات .
وعلاقات المجاز العقلي كثيرة غير السببية .
منها : الزمانية مثل : زيد نهاره صائم . والمراد صائم في نهاره .

ومنها : المكانية مثل : (تجري من تحتها الأنهار) والنهر لا يجري : لأنه الفراغ بين الشاطئين ، وإنما الذي يجري الماء في النهر .

ومنها : الفاعلية : مثل : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أسند الرضا للمعيشة ، وهو في الحقيقة لصاحبها . فهي عيشة مرضية ، ومثل : ﴿خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ أسند الدفق إلى الماء ، وهو مدفوق لا دافق .

ومنها : المفعولية بأن يسند الفعل المبني للمجهول إلى الفاعل كقولهم : (سبيل مُفْعَم) فقد أسندوا اسم المفعول ، وهو

مفعم إلى الفاعل ، وحقه أن يسند إلى المفعول : وهو الإناء مثلاً ، يقال : أفعم الإناء : ملاءه .
والحقيقة اللغوية هي : الكلمة المستعملة فيما وُضعت له في اصطلاح التخاطب .
والمجاز اللغوي هو : الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب لعلاقة ، وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

وهذه العلاقة : إن كانت غير المشابهة ، فهو (المجاز المرسل) وإن كانت المشابهة ، فهو (الامتعارة) فكل منهما مجاز بالمعنى العام .

والمجاز المرسل له علاقات كثيرة منها :

- ١- الكلية : مثل : ﴿يَجْعَلُونَ أَسْبَغَهُمْ فِي مَآذِبِهِمْ بِرَنَ الصَّوْعِ حَذَرُ الْقَتْلِ﴾ فالمراد بالأصابع : الأنامل .
- ٢- الجزئية : مثل : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ﴾ فالمراد بالرقبة : العبد كله .
- ٣- الحالية : مثل : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ فالمراد

بالنعيم : الجنة . والنعيم حال فيها .

٤ - المحلية : مثل : ﴿ وَمَا تُخْفِي سُودُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ أي قلوبهم ، والصدور محل لها .

٥ - اعتبار ما كان مثل : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ أَتَوَاتُوا ﴾ أي : من بلغ الرشد ممن كان يتيما .

٦ - اعتبار ما سيكون : مثل : ﴿ إِنِّي أَرَىٰ أَعْمَرَ عَمْرًا ﴾ أي عتيا ، سيكون عمرا .

٧ - السببية : مثل : ﴿ وَجَرَدُوا سَيْتَهُ سَيْتَةً مِّثْلَهَا ﴾ المراد : القصاص ، والسيف سبه ، أي وجزأ فعلة فيحة عقوبة مثلها في القبح .

٨ - المسيبية مثل : ﴿ وَيَرْزُقْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ ، أي مطرا ، والرزق مسبب عنه . وهناك علاقات كثيرة أخرى .

وأما القسم الثاني من المجاز اللغوي ، وهو الاستعارة ، فقد عرفوها بأنها : الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة بين المعنيين ، وفريته مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

فهي في الأصل تشبيه حذف أحد رُكبيه . فإن حذفنا المشبه ، وصروحنا بالمشبه به ، فهي (الاستعارة التصريحية) ، مثل قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ آزَلَنَّهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ فقد شبه الضلال بالظلام في عدم الاهتداء ، وشبه الهدى بالنور ؛ لأن كلا منهما يوصل صاحبه إلى بغيته ، ثم حذف الضلال ، واستعير له الظلام ، وحذف الهدى ، واستعير له النور ، فهي استعارة تصريحية .

وأما إذا حذف (المشبه) ورمز له ؛ أو كُتِيَ عنه بشيء من لوازمه فهي (الاستعارة المكنية) مثل قوله :

وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفع
شبه المنية بالسبع ، وحذفه ، ورمز له بشيء من لوازمه ، وهو الأظفار .

ومثل قوله :
وإذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

شبه العناية بإنسان ، وحذفه ، وكثي عنه بالعيون .

وقد ألحق البلاغيون بالمجاز ما سُمّوه : (مجاز الحذف والزيادة) وهو الذي يحدث بسببه تغير في الإعراب .

مثال الحذف : قوله تعالى : ﴿ وَتَنَزَّلُ الْقُرْآنُ عَلَى كُلِّهَا ﴾ فقد حذف لفظ (أهل) فتغير إعراب القرية : فصارت منصوبة بعد أن كانت مجرورة ، فقد استعمل النصب في غير موضعه ، لأن النصب في (القرية) كان من حق المضاف : فهو من هذه الجهة يُشبه استعمال الكلمة في غير ما وضعت له ، فساغ أن يُسمّوه مجازًا ، أو ملحقًا به .

ومثال الزيادة : قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ الكاف هنا زائدة ، لأن نظم الكلام : ليس مثله شيء ، وزيادة الكاف غيرت الحكم الإعرابي لكلمة مثل ، فيعد أن كانت منصوبة خبرًا وليس ، صارت مجرورة بالكاف : فهو من باب المجاز بالزيادة الملحق بالمجاز عمومًا .

هذه أهم القواعد التي درسناها ونحن صغار مما سجله علماء البلاغة في مبحث (الحقيقة والمجاز) .

ثم درسنا العلوم الإسلامية والعربية التي نشأت لخدمة كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ فوجدنا علماءنا الأكابر - رحمهم الله وحزاهم خيرا - يسيرون على هذه القواعد البلاغية .

فها هم علماء التفسير على اختلاف اتجاهاتهم يستخدمونها في بيان أسرار بلاغة القرآن الكريم .

وها هم شراح الحديث النبوي خلال القرون المتعاقبة يستعملونها في بيان معاني أحاديث من أوتي جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصارًا ﷺ .

وها هم علماء التوحيد عندما يعرضون لصفات الله تعالى التي يوهم ظاهرها مشابهة الله تعالى لخلقه في ذاته ، أو صفاته ، أو أفعاله يقولون : إن في المسألة مذهبين :

مذهب السلف : وهو إمرارها كما جاءت : وتفويض معناها إلى الله تعالى .

ومذهب الخلف : وهو تأويلها بما يتفق مع تنزيه الله عن الجسمية ، وتوابعها ، ومع قواعد اللغة العربية التي نزل بها

القرآن الكريم .

فالمذهبان متفقان على أن ظاهر اللفظ المادي غير مراد ، وهذا ما يعرف بالتأويل الإجمالي ، والخلاف بينهما في التأويل التفصيلي ، وهو تعيين المراد .

هكذا سارت الأمور معي ، أو سرت معها إلى بداية السبعينات من القرن الماضي ، وأثناء اشتغالي بالدراسات العليا ، اشتريت فيما اشتريت كتاب : (الإيمان) للإمام ابن تيمية .

فلما اطلعت عليه عجبت كل العجب لإنكاره تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز ، وأن هذا لم يعرف عند (السلف) ورأيت يبي آراءه في العقيدة في كل ما كتب على هذا الأمر . إنه يقول في كتابه الإيمان : « هذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة ، لم يتكلم به أحد من الصحابة ، ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك ، والثوري ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو ،

كالخليل وسيبويه ، وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم » .

ويقول : « لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه ، والأصول ، والتفسير ، والحديث ، ونحوهم من السلف . وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه : لم يقسم هذا التقسيم ، ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز ، وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبنية على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز .

وكذلك سائر الأئمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام أحد منهم إلا في كلام أحمد بن حنبل ، فإنه قال في كتاب (الرد على الجهمية) في قوله : (أنا ونحن) ونحو ذلك في القرآن : (هذا من مجاز اللغة) . يقول الرجل : إنا سنعطيك . إنا سنفعل ، فذكر أن هذا من مجاز اللغة .

وبهذا احتج على مذهبه من أصحابه من قال : إن في القرآن مجازاً . كالقاضي أبي يعلى ، وابن عقيل ، وأبي الخطاب ، وغيرهم .

وقد أنكر طائفة أن يكون في اللغة محار لا في القرآن ولا
غيره .

قرأت هذا الذي كتبه ابن تيمية ، وقرأت ما ساهه من أدلة
على ما رعم . ولم أضمت إلى ما كتب . وعزمت على دراسة
الموضوع دراسة متأنية ، ولكن اشعالي بإسحار رسالة العالمية
(الدكتوراه) صرمني بعض الشيء ، عن ذلك . وإن طلت الرعة
في الكتابة فيه تعاودني رعم اشعالي بتألف ما ألفت من كتب
طبعت عدة طبعات .

ومد سوات اطلعت على كتابي فضيلة الأستاذ العلامة
الأزهري الدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني (المحار عد
الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار) ، (والمحار في
اللغة والقرآن الكريم بين الإحارة والسمع ، عرض وتحليل
ونقد) . ولأحير يقع في أكثر من ألف صفحة

فوجدت لشيخ رحمه الله قد شغاني في كثير مما كت
أسماء بل ونى على بعض ما كت مسحتة في بطاقات مما
نقته من كتب (السلف) خلال سوات طويلة مصت كلما

مررت ببعض من نصوص السلف في أحد المراجع في موضوع
صغات الله تعالى وتأويلها وإن كان هذا ليس مقصدا أساسيا
للشيخ فيما كتب فمشت الحاجة إلى أن أكتب فيه .



الفصل الأول

التأويل : معناه ومتى يجب

إن مسألة (تأويل بعض صفاته تعالى) يكاد لا يحلو منها كتاب من كتب العقيدة، ولا لسان من ألسنة العلماء حلال القرون الماضية ولكن ما المقصود بالتأويل؟

يقول ابن عروبرابادي في : مصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :

« وأما التأويل فصرف معنى الآية بوجه تحتمله الآية، ويكون موافقاً لما قبله، ملائماً لما بعده، واشتقاقه من الأول، وهو الرجوع . فيكون التأويل بيان الشيء الذي يرجع إليه معنى الآية ومقصودها .

والفرق بين التفسير والتأويل : أن التفسير هو البحث عن سبب نزول الآية والمحوص في بيان موضع الكلمة من حيث اللغة، والتأويل هو التفتحص عن أسرار الآيات والكلمات، وتعيين أحد احتمالات الآية، وهذا إما يكون في الآيات المحتملة لوجوه مختلفة » .

ويقول الشريف الحرحاني في التعريفات : « التأويل في الأصل : الترجيع . وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب والسنة . مثل قوله تعالى ﴿ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ أَلَمَيْتٍ ﴾ إن أراد به : إخراج الطير من البيضة، كان تفسيراً، وإن أراد : إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل، كان تأويلاً » .

هذا هو التأويل الذي نعبه، وهو استخدام إحدى القواعد التي ذكرها البلاغيون في ميث (الحقيقة والمجاز) في فهم النص، وما يؤل إليه المعنى^(١) .

ولا يعني ذلك أننا نسفون بتأويل كل نص وارد، بل إنما نستخدم عند الضرورة، وهي تعارض ظاهر النص القطعي الثبوت، الطبي الدلالة مع دليل عقلي برهاني، أو يتعارض النص النصي الثبوت مع الدليل العقلي الصحيح . في هاتين الحاليتين نرى وجوب التأويل .

وتفصيل ذلك أن مذهب أهل السنة يقوم على لتأخي بين

(١) تأويل أعم من شعار : لأنه قد يكون بانية مثلاً

إشراع والعقل؛ إذ لا معارضة بين الإشراع المقبول والحق المعقول. وكيف تأتي المعارضة، والإشراع كالشمس المستشرة الصياء، والعقل كالنصر السليم^٤ فهل يستعنى فذلب الاهتداء بأحدهما عن الآخر^٥ كما يقول حجة الإسلام العراقي.

١. إن النص قد يكون قطعي الثبوت، فقضي الدلالة، وهو النص امرائي أو السوي المتواتر، وهذا أسوع يستحيل أن يقع تعارض بينه وبين الدليل العقلي الرهائي ولا يأتي إشراع بما يصادم العقل. فلا مجال هنا للتأويل.

٢. وقد يكون النص فقضي الثبوت، صبي الدلالة يدل بظاهره على معنى يتعارض مع الدليل العقلي الرهائي وهذا النص هو الذي يرى تأويله، يتفق مع العمل السليم، ويرتفع تعارض بين العقل، وظاهر النص.

فقوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَحْوِ ثَنِيَّةٍ إِلَّا هُوَ رَافِقُهُمْ وَلَا حَمْسِيَّةٍ إِلَّا هُوَ سَادُّهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَهْمَةً أَتَى مَا كَانُوا﴾ [السجادة ٧] يتعارض ظاهره مع الدليل العقلي لدى دل على سحرته حلول لله تعالى في شيء

من مخلوقاته. فوجب تأويله (إجمالاً) بصرف النص عن ظاهره، وتفويض معناه إلى الله تعالى.

أو تأويله (تفصيلاً) بأن المراد بالمعية (لعدم). ويشهد له بداية الآية ونهايتها.

والتأويل الإجمالي متفق عليه بين مدب الأمة وحجتها، وهو صرف الموهوم عن ظاهره المحال عليه تعالى. والحلاف بعد ذلك في تعيين المراد، أو عدم تعيينه كما سبق

(ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿كُنُوزاً لِلَّهِ فَنَسِيحُهُمْ﴾ [النوبة ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿يَدْفَعُونَ بِمَا فُسِيحَهُ لِفَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنْ نَسِيحُكُمْ﴾ [السجادة: ١٤].

فأساس صفة نص تستحيل على الله تعالى، ولا يمكن أن نقول لله سبحانه يلق به^٦ فوجب تأويل النص إجمالاً، أو تفصيلاً، لأنه معارض للعقل، كما أنه يعارض الإشراع. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رِئْكَ فِيسًا﴾ [مريم ٦٤] وقال ﴿لَا يَصِلُ رِئْكَ وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

٣. وقد يكون نص صبي الثبوت، سواء كانت دلالاته

قطعية أو طيه . وهذا يتصور فيما جاء بحبر الآحاد .

وهذا النوع إذا عارضه دليل عقلي صحيح ، فلا بد من تأويل ما ثبت بحبر الآحاد ، أو بمحض السند محققاً جيداً .
مثال ذلك قوله عليه السلام : «ساعة يقبضهم الله في طله يوم لا ظل إلا ظله» فهل لله (ظل) يليق به ، أو يؤول النص ؟ ومعلوم أن الظل إنما يكون للأجسام .

وكذلك قوله عليه السلام : «عليكم بما يظفون» ، هو الله لا يظل لله حتى تسوا ، والميل من صفات النقص . فهل ثبت لله مللا يليق به ، أو يؤول النص ؟

وكذلك الحديث القدسي : «يا ابن آدم مرصت ولم تعدني ..» .

والمرص نقص لا يليق بالله تعالى ، فهل ثبت لله مرضاً يليق به ، أو يجب تأويل النص ؛ وإن قانو أن تأويل النصوص طيه ، ولا يؤخذ بالظن في الاعتداد ، فلا وأنتم تأخذون بحبر الآحاد ، وهو لا يقيد إلا الظن .

ومثال ما يجب فحص سنده محققاً جيداً حديث (أبو عمار)

وحديث : «رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة حصراء» .

فقد أثبت الدليل العقلي استحالة الجسمية وتوابعها على الله تعالى

هكذا يتحدد ما يدخله التأويل ، وما لا يدخله (١) .

وظل هذا الموضوع (التأويل) وقبوه أو رفضه حلال القرون العاصية وفقاً على العلماء المتخصصين في الدراسات الإسلامية والعربية ، لا يبرح قاعات البحث والدراسة .

لكي لاحظت وبعد ظهور البعث (البنزول) في دول

(١) وكذلك ترى أبا عبيدة معمر بن أشي (٥٢٠٩هـ) يؤول قوله تعالى

﴿يَأْتِيَهُمْ سَنَةٌ مِّنْهُمْ يَصْطَلُونَ لِمَا قَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا﴾ [الأعراف ٥٠]

ميمون «يؤخرهم ويركهم كما تركو أمر ربهم» ، ويحدد يوم

القيامة [مصدر القرآن ١ ، ٣١٥] ، وكذلك بعض في قوله ﴿وَمِنَ

الْيَوْمِ يَسْأَلُ كَأْسَةً يَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ هَذَا﴾ [حاشية ١٣٤] ، فيقول «أي

سرركم ومكرمكم من رحمتي» ، ولذلك يرى أهل السنة لا يؤولون

في سائر المعاني مثل رؤيته الله تعالى يوم القيامة ، والخصوص ،

والصراط ، وميراث ، ومعيم الجنة ، وعذاب النار ، فهذه الأمور هي حبر

خاتمة عقائد ، ولا يوجد معها من عقلي ، فلا تحتاج إلى تأويل

الححيح العربي ، وبعد طبع كميات ضخمة من كتب الإمام ابن تيمية ، والإمام ابن القيم ، ومن تبعهما وتوريتهما هدايا ، وخاصة على المشيبي لمجموعات الإسلاميه أن هذا الموضوع وأمثاله ، بدأ يجرح من فاعات دراسة وبحث المتخصصين إلى من ليس متخصصا فيه ، بل يتناوله بعض العوام وأشاههم في المساجد ، ووسائل الإعلام ، ويحدث الشاير بالألقاب فقررت أن أعود إلى ما سبق أن جمعت من أقوال السلف خلال لقرون الثلاثة المفصلة في مسألة التأويل عامة ، وتأويل صفات الله تعالى خاصة .

وعترمت أن تكون مراحي من مؤلفات هذه القرون الأولى المفصلة أيضا حسنا لسراع ومدا لباب الحدال .
فلو كان النص موجودا في كتب تفسير المتأخرين ، وموجودا في تفسير الإمام الطبري مثلا ، فإني أشير إلى موضعه من تفسيره ، لأنه من علماء القرن الثالث ، وثناء الإمام ابن تيمية على تفسيره وهكذا .

الفصل الثاني

تاويلات السلف في غير صفاته تعالى :

١ ولبدأ بسورة (الفاتحة) ويقول تعالى ﴿ أَهْدِنَا **الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ وسئل معنى (الصراط) من تفسير الطبري . (جامع البيان عن تأويل اي القرآن) ط الحلبي : قال أبو جعفر أحضمت الأمة من أهل التأويل حميف على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواصح اندي لا اعوجاج فيه ، وكذلك دل في لغة جميع العرب ..

ثم تستعير العرب الصراط ، فتعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج ، فتصف المستقيم باستقامته ، والمعرج باعوجاجه .

والذي هو أوسى سؤول هذه الآية عدي . أعني (اهدنا الصراط المستقيم) أن يكون معينا به . وفقا نشأت على ما ارتصيته ، ووصفت له من أعجب عليه من عبادت من قول وعمل ، ودلت هو نصراط المستقيم ؛ لأن من وفق لما وفق به

من أجمع الله عليه من السيئ ، والصديقين ، والشهداء ، فقد
وفق للإسلام .

ثم يروي الطبري عن عمي بن أبي طالب رضي الله عنه عن
أبي بصير أنه قال : « وذكر القرآن فقال : هو الصراط المستقيم .
ثم يروي عدة روايات عن حابر بن عبد الله ، وابن عباس أن
المراد بالصراط المستقيم : الإسلام ، تفسير الطبري ٧٣ / ١ .

فتأمل كيف حدد أبو جعفر رحمه الله معنى الصراط
في لغة العرب بأنه ، الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، أي
أنه اسم للمكان .

ثم بش أن العرب (تستعيره) لكل قول أو عمل يوصف
بالاستقامة ، أو الاعوجاج .

هكذا يستعمل هذا اللفظ (تستعيره) وهو المصطلح الذي
اشتهر على ألسنة البلاغيين بعد ذلك .

بمعنى الآية (محار) وهو . استعارة تصريحية ، فقد شبه
الإسلام ، بالطريق المستقيم ، وحذف المشبه ، وصرح بالمشبه
به .

وكما أول الطبري (الصراط المستقيم) في العائنة ، أوله
في سورة هود في قوله تعالى . ﴿إِن تَوَلَّيْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكَ
مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِأُصْبَانِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
(اية ١٦٦) أوله بأنه الحق ، وذكر أربع روايات عن محاهد ،
تنص على ذلك - التفسير ٦٠ / ١٢ .

ومن سورة (الفر):

٢ - قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [١٠] يذكر أبو
عبدة معمر بن المثنى ت ٢٠٩ هـ في كتابه (محار اقرا) أن
المراد بالمرض : النفاق والشك ٣٢ / ١ .

ويقول أبو جعفر : والمرض الذي ذكر الله حل شأوه أنه
في اعتقاد قلوبهم الذي وصماه هو شكهم في أمر محمد ، وما
حاء به من عند الله ، وتحيرهم فيه ، فلا هم موقنون به إيقان
إيمان ، ولا هم له مكرون إيكار إشراك .

ثم يروي الطبري بسنده عن ابن عباس (في قلوبهم
مرض) أي شك - (الضمير ١٢١ / ١) .

ففي الآية استعارة تصريحية أيضاً .

٣ وقال تعالى . ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الصَّلَاةَ بِالْهُدَىٰ
فَمَا رَاحَتِ يَحَرُّهُمْ وَمَا كَانُوا مُنْتَبِهِينَ﴾ [١٦٥] .
يروى الطبري عن ابن عباس : «أحدوا الصلاة وتركوا
الهدى» .

ثم يش أن معنى الشراء : أخذ المشتري مكان الشمس
المشتري به ، فقالوا : المصدق والكافر قد أحدا مكان الإيمان
الكفر ، فكان ذلك منهما شراء للكفر والصلاة الندي أحدهما
بتركهما ما تركا من الهدى ، وكان الهدى الذي تركاه ، هو الشمس
الذي جعله عوضاً من الصلاة التي أحداها [التفسير ١ : ١٣٧] .

فالاستعارة واضحة في قوله : (اشترؤا) .

وفي قوله : (الصلاة بالهدى) فالمراد بهما . الكفر
والإيمان ، كما عزاه لابن عباس .
وأما قوله تعالى : ﴿فَمَا رَاحَتِ يَحَرُّهُمْ﴾ فلقرأ ما كتبه
الإمام أبو ركريا الفراء ت ٢٠٧ هـ في كتابه (معاني القرآن)
ط . عالم الكتب بيروت .

قال الفراء : «ربما قال قتل . كيف تريح التجارة ، وإنما
يربح الرجل التاجر ؟ وذلك من كلام العرب : ربح يبعك ،
وحسر يبعك . فحش القول بذلك ؟ لأن اربح والحسر إنما
يكونان في التجارة فقدم معناه ، ومثله من كلام العرب . هذا
ليل بائم ، ومثله من كتاب الله . ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد
٢١] وإنما العزيمة للرجال [١٤ / ١] .

ففي الآية مجاز عقلي ، فقد أمد الربح إلى التجارة ،
والأصل إسناده إلى الثجار .

٤ وقال تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ
أَمُوتًا فَلْيَنصَحْكُمْ﴾ [٢٨] .

يقول أبو ركريا الفراء في بيان أن الاستعانة في الآية قد
خرج عن حقيقته وهي طلب معرفة المستعانة به إلى معنى
محاري : «على وجه التعجب والتوبيخ ، لا على الاستعانة
المحصى أي ويحكم كيف تكفرون» [معاني العرب ١ : ٢٣] .
٥ وقال تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ

يُغْرِقُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ .

يُؤْوِلُ الإمام الصبى الطلمات بكفر، ونور بالإيمان، ويبين سبب استعصاء كل لكل فيقول : «وإما جعل الطلمات لكفر مثلاً، لأن الطلمات حاوية للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب لأبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان، والعدم بصحته، وصحة أسمايه . (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) .

يعني بالنور الإيمان، على نحو ما يشاهد في الطلمات، ويعني بالظلمات طلمات بكفر وشكوكه، الحائثة دون أبصار القلوب، ورؤية صياء الإيمان، وحقائق أدلته وسببه . [التفسير ٢١/٣] .

ثم يؤكد ما ذكره روايات عن بعض التابعين .

ومن سورة آل عمران :

٦ قال تعالى ﴿وَقَدْ طَافَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنًا

بِالَّذِي أُورِلَ عَلَى الْيَمِينِ آمِنًا وَجْهَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آية : ٧٢) .

يذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن المراد بوجه النهار أول النهار . محار القرآن ٩٨ / ١ وبسبب الظري هذا التفسير لفتاده، والشدي، ومجاهد، وغيرهم التفسير ٣ / ٣١١ . فقد شبه النهار بالإيمان، ووجهه أول ما يرى منه، ويُعرف به . وحذف لمشيبه به، ورمز له بشيء من نورمه على جهة الاستعارة المكنية .

وقال تعالى : ﴿حُشِرَتْ عَلَيْهِمُ الدِّبَالَةُ آمِنًا مَا يُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ وَحُشِرَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ دَيْتُكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ يَقَاتِنُ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ الْآيَةَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَقْتَدُونَ﴾ [سورة ١١٢] .

فسر أبو عبيدة الحبس بالمعهد . محار القرآن ١ / ١٠١ . وكذلك فعل المصري وأشد كلامه بروايات عن مجاهد، وفتاده، وعكرمة حيث قدوا «يعهد من الله، وعهد من الناس» [التفسير ٤ / ٤٨] .

ففي الآية استعارة تصريحية .

٨ . وقد تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مَن أَقَلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَلِيلَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [عمران ١١٣] .
يقول الإمام الفراء : « والسجود في هذا الموضع اسم بالصلة ، لا لسجود ، لأن التلاوة لا تكون في السجود ، ولا في الركوع » [معاني القرآن ١ / ٢٣١] .

ففيها محار مرسل علاقته الحرثية ، فالسجود جزء من الصلاة .

• • •

ومن سورة النساء :

٩ . قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَافِكُونَ أَمْ لَكُمْ أَنُفَالُ الْبَتْنَى طُلُمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي نُطُوبِهِمْ نَارًا وَهُمْ لَا يَسْمُونَ سَمِيرًا﴾ [نساء ١٠] .
يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَافِكُونَ أَمْ لَكُمْ أَنُفَالُ الْبَتْنَى طُلُمًا﴾ الآية اطلع من كان عنده بيتيم ، فعزل طعامه عن طعامه ، وشرا به عن شرا به » [تفسير ابن كثير ١ / ٤٥٦] .

أي أن الصحابة فهموا عن الآية عموم الانتفاع بعالم البيتيم ، وليس خصوص الأكل ، بل يشمل الشرب ، والبس ، والسكن ، ومثل ذلك ، ففي الآية مجاز .

وهذا ما يذكره الإمام ابن القيم في قوله : « ففهمت الأمة من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَافِكُونَ أَمْ لَكُمْ أَنُفَالُ الْبَتْنَى طُلُمًا﴾ جميع وحوه الانتفاع من البيتيم ، والركوب ، والمسكن وغيرها » [إعلام الموقعين ١ / ٢١٨] .

ثم يأتي ابن القيم بمثال شبيه له فيقول : « وفهمت أي الأمة من قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرُؤْ لَهُمْ أُفٍّ﴾ رده النبي عن جميع أنواع الأذى بالقول والعمل ، وإن لم يرد بخصوص أخرى بالنهي عن عموم الأذى ، فلو بصر رجل في وجهه والديه ، وحبرهما بالنهي ، وقال : « يا بني سم أقول لهما أف » ، لعذبه الناس في عاية سحافة ، والحماقة ، والجهل من محرد تعريقه بين التأنيب المنهي عنه ، وبين هذا العمل قبل أن يلعبه بهي غيره . ومع هذا مكية للعقل ، والفهم ، والاعتدلة .

فمن عرف مراد المنكمن بدليل من الأدلة ، وجب اتباع مراده

والأنماط لم تقصد لدوائها ، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم ، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان ، عمل بمقتضاه ، سواء كان بإشارة ، أو كتابة ، أو بإيماءة ، أو دلالة عقلية ، أو قرينة حالية ، أو عادة له مطردة لا يُحِلُّ بها ، أو من مقتضى كماله ، وكمال أسمائه وصفاته [أعلام المومنين ٢١٨ / ١] .

وهذا كلام قيم لاس القيم رحمه الله يستحق الوقوف الطويل عنده .

وتأمل وصفه لمن يسمع المجاز بأنه مكابر للعقل ، والفهم ، والفطرة .

وكيف يضّر على بعض ما يوجب التأويل من دلالة عقلية ، أو قرينة حالية ، أو مقتضى كمال الله ، وكمال أسمائه وصفاته

ومن سورة الأعراف :

١٠ . قَالَ نَعَالِي ﴿ وَسَنَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةً النَّخْرِ إِذْ يَتَدَوَّلُ فِي النَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ

حِيَاثُهُمْ يَوْمَ سَكَنَتْهُمْ شُرَعَا وَيَوْمَ لَا يَسْئُرُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف ٢١٦٣]

ودع المجال هنا للإمام الشافعي رضي الله عنه لدي وضع هذه الآية تحت عور (باب : انصف اندي يُبين سياقه معناه) وكما قد سجلنا مد أكثر من عشرين عاما في الجزء الأول من كتاب (عقيدتنا) أهمية ما كتبه الإمام الشافعي في هذا الموضع . وقلنا إنه تناول فيه . كيف يحدد السياق ، أو ما يُسميه علماء البلاغة (القرينة) المراد من اللفظ ، وهو ما اصطلح عليه علماء البلاغة بالمعنى المحاري ؛ إذ المعنى الحقيقي لا يحتاج إلى قرينة ، وكلامه في غاية السهولة .

هذا ما سجلناه يومها ، والآن نقرأ ما كتبه رضي الله عنه بتمعن :

« وبدأ حل شأوه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرينة الحاصرة الحر ، فما قال : ﴿ إِذْ يَتَدَوَّلُ فِي النَّبْتِ ﴾ الآية . دل على أنه إنما أراد أهل القرينة ؛ لأن القرينة لا تكون عديدة ، ولا فاسقة بالعدوان في لست ولا غيره ، وأنه إنما أراد بالعدوان .

أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يعشقون .

وقال : ﴿ وَكَمْ قَصَفْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهَا بَعْدَهَا قَوْمًا مَّأْرُوسًا ۖ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِبَأْسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا بِرُكُوعٍ ۝﴾ [الأنبياء ١١-١٢] .

وهذه الآية في مثل معنى الآية قبلها ، فذكر قصص القرية ،
فما ذكر أنها طائفة من الطائفة إنما هم أهلها ، دون
سائر أهلها ، ولما ذكر القوم المشتهين بعدها : ذكر
إحسانهم الناس عند القصص . أحاط العلم أنه إنما أحسن الناس
من يعرف الناس من الآدميين .

ثم قال الشافعي . « الصنف الذي يدل لعطفه على باطنه
دون ظاهره » .

قال الله تبارك وتعالى وهو يحكي من أخوة يوسف
لأبيهم . ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِالْقَبْرِ
عَاطِلِينَ ۝ وَثَلَّثَ تَفْرِيبَهُ أَلَيْ كُنَّا بِهَا وَالتَّغْيِيرَ أَلَيْ أَفَلَمَّا
مَيَّا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝﴾ [يوسف ٨١-٨٢] .

وهذه الآية في مثل معنى الآيات فيها ، لا تختلف عند

أهل العلم باللسان : أنهم إنما يحاطبون آباهم بمسألة : أهل
القرية ، وأهل العير ، لأن القرية والعير لا يشدان عن صدقهم ،
[الرسالة ٦٢-٦٤] .

وفد فطر الشيخ (المطعمي) أثبه الله إلى الحكمة في
فصل الإمام الشافعي الآية الثالثة عن الآيتين الأولىين : دون
الأوليين اشتملتا على قرائن لعطفية تدل على أن المراد من
القرية . أهلها ، فسبقها هو الذي يدل ، وأما الثالثة . فقريبتها
حالة معصية ، لأن القرية والعير لا يُسألان ، ولا يُجيبان .
فلفظها يدل على باطنها دون ظاهرها ، هذه جهود الإمام
الشافعي الذي رعم ابن ببيعة أنه لا يعرف المحار !!

وها هو الإمام أبو ركريا الخراء المعاصر للإمام الشافعي
يدكر قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي
أَخْرَجَكَ أَهْلُكُهَا فَلَا تَأْخُذُ بِهُمْ ۝﴾ [محمد ١٣] ، ويقول
« يريد النبي أخرجك أهلها إلى المدينة » [معاني القرآن ٣ ٥٩]
ففي الآية مجاز عقلي .

ومن سورة الأنعام :

١١ - قُلْ نَعَالِي ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَخِيذَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ
نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ فِي أَنفُسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ
يَتَّهَا كَذَلِكَ رُتِبَ لِتَكْفِيرٍ مَا كَانُوا يَصْلُوكَ ﴿ [١٢٢] -
يقول الإمام الفراء : أي كان صلاً فهدياه ، وقوله
﴿ وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ﴾ يعني إيمانه (معاني
القرآن ١ / ٣٥٣) .

وهي الآية ثلاث استعارات في ميثا ، وأحساء : ونورا

ومن سورة التوبة :

١١ - قُلْ نَعَالِي ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ نَعَصُهُمْ مِنْ
نَعَصٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُكْرِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ
أَيْدِيَهُمْ﴾ [٦٧] .

يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى : يقبضون أيديهم
بمساكوب أيديهم عن الخير والصدقة بعد فصل فلا عما
يده ، أي منعنا (معاني القرآن ١ / ٢٦٣) .

فهذا مجاز مرسل علاقته السببية .

ومن سورة يونس :

١٣ - قُلْ نَعَالِي ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ آيَاتٍ لِتَشْكُرُوا
فِيهِ وَأَنشَارَ مُتَعَبِرًا﴾ [٦٧]

قال أبو عبيدة : العرب وضعوا أشياء من كلامهم في
موضع الفاعل ، والمعنى أنه مفعول ، لأنه ظرف يفعل فيه
غيره ؛ لأن النهار لا يبصر ، ولكنه يبصر فيه الذي يطر ، وفي
انقراض (في عبثة راصية) وإنما يرصى بها الذي يعيش فيها ؛
[مجاز القرآن ١ / ٢٧٩] .

فهو مجاز عقلي أسد فيه الفعل غير ما هو له

ومن سورة الإسراء :

١٤ - قُلْ نَعَالِي ﴿وَلَا تَحْمِلْ ذَلِكَ مَقُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا
تَسْطِطْ كُلَّ الَّابْسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْمُورًا﴾ [٢٩] .

قال الطبري : هذا مثل صر به الله تبارك وتعالى لمستمع
من الإنديق في الحقوق التي أوحىها في أموال ذوي الأموال ،
محملة كالشدة يده إلى عنقه الذي لا يقدر على لأحد بها
والإعطاء (المعسر ١٥ / ٧٦) .

وقال معمر بن المثنى : « محاربه في موضع قلوبهم ألا
تمسكت عما يسمى لك أن تدن من الحق ، وهو مثل ونسبه »
[إعجاز القرآن ١ / ٢٧٥] .

١٥ وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَدْيِهِ أَعْمَى فَهُوَ
الْآجِرُ أَعْمَى وَسُلَّ سَبِيلًا ﴾ (١٧٢) .

قال الطبري : « دنت من عمى القلب الذي يقع فيه
التفاوت . وإنما لحى به عمى قلوب لكفار عن حجج الله التي
قد عاينتها أبصارهم » [التفسير ١٥ / ١٢٩] .

فصره الطبري عمى القلب ، لأن عمى البصر لا يقال
فيه : هذا أعمى من ذلك .

١٦ وقال تعالى : ﴿ وَفَرَّانَ الْفَحْرُ إِنَّ قُرْمَانَ الْفَحْرِ
كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) .

قال الفراء : « يعني صلاه الفجر ، تشهدا ملائكة الليل
وملائكة النهار » ، [معاني القرآن ٢ / ١٢٩] .

ومن سورة الشعراء :

١٧ قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ عَنِ السَّمَاءِ رَبَّهُ كَشَفَتْ

- ٤٤ -

أَعْيُنُهُمْ فَمَا خَبَّيْنِ ﴿ (آية : ٤) .

قال الإمام الطبري : « فصلت ساداتهم وكبرؤهم للآية
خاضعين » [التفسير ١٩ / ٢٥٩] .

وقال الإمام الفراء : « وفي دنت وجوه كلها صوب أولها أن
محاذها جعل لأعناق الرجال الكبراء » [معاني القرآن ٢ / ٢٧٧] .

فكل من محاهد ، وفراء ، والطبري ، « أول الآية على
المجاز المرسل الذي علاقه الجزئية .

ومن سورة سبأ :

١٧ قال تعالى : ﴿ وَوَلَّ كَذِبًا أَمْتَضَعُوا لَدَيْنَ
نَسْتَكْرُوا لَكَ مَكْرًا لَيْلًا وَلَنَهَارًا إِذْ تَأْمُرُونَ أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ
وَنَجْعَلَ لَكَ لُقْدَادًا ﴾ (آية : ٢٣) .

قال الفراء : « المكر ليس ليل ولا لنهار ، وإنما لمعى .
بل مكر كم بالنسب ونهار وقد يحور أن يصيب الفعل بـ
النسب والنهار ، ويكونا كلفعلين ، لأن العرب تقول : هارت
صائمه ، ومنت قائمه ، ثم يصيب الفعل بـ النسب ونهار ، وهو

في المعنى للأدريس، كما تقول: نام ليلتك، وعزم الأمر،
وإنما عزمه لقوم، فهذا مما يعرف معناه، فتسرع به العرب،
[معاني القرآن ٢/ ٣٦٣].

وقال الطبري (بل مكر) كم ساء (الليل والنهار) صديقاً
عن لهدى ﴿لَا تَأْمُرُوا أَنْ تُكْفِرَ بِلَهُ﴾ ويجعل له أمثلاً
وأشياءها في العدة ولأنه، فأصيف المكر إلى الليل والنهار.
والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين في الليل
ونهار على تساع لعرب في أي قد عرف معناه فيه من
مطلقها، من نقل صفة شيء إلى غيره، فتقول بلرحل
فلان، بهارك صائم، وليست قائم، سمع ٢٢ ١٩٨ معني
الآية محجاز عقلي.

ومن سورة طهر

١٨ قال تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ وَلَا
أَطْلَعْتُ وَلَا أُنُورُ ﴿وَلَا أُنُورُ وَلَا أُنُورُ﴾ وَمَا يَتَّبِعُ
الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يُنَادِ وَمَا لَيْسَ يَسْمَعُ مَنْ

فِي الْقُبُورِ ﴿١٩-٢٣﴾.

قال الإمام الفراء: «الاعمى هاهنا الكافر، والبصير:
المؤمن» وَلَا أَطْلَعْتُ وَلَا أُنُورُ ﴿١٩﴾ قال: «لصمات، الكفر،
والنور الإيمان» وَلَا أَطْلَعْتُ وَلَا أُنُورُ ﴿٢٠﴾ قال: «لعل:
الحية، والحرور: النار» ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾
قال لأحياء المؤمنين والأموات الكفار» [معاني القرآن ٢
٣٦٩].

وقال الإمام الطبري مثل ذلك، وعمره لابس عباس،
وليعض الثاهين - (التفسير ٢٢/ ١٢٨).

وذكر الطبري عن قتادة في قوله ﴿وَمَا لَيْسَ يَسْمَعُ مَنْ
فِي الْقُبُورِ﴾: «كذلك الكافر لا يسمع، ولا يسمع بما سمع»
[١٣٠/ ٢٢].

ففي الآيات مجموعة من الاستعارات.

ومن سورة يس:

١٩ قال تعالى ﴿يَنْفَعُ فِي أَنْفُسِهِمْ عَمَلًا فِيهِمْ

إِلَى الْأَذْقَابِ فَهُمْ مُنْتَقِبُونَ ﴿٨﴾

قال الطبري : « فأيمانهم مجموعة بالأعلال في أعناقهم ، فكُنِيَ عن الأيمان ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام ، وأن الأعلال إذا كانت في الأعناق ، لم تكن إلا وأبدي المعنولين مجموعة بها إليها ، فاستعنى بذكر كون الأعلال في الأعناق من ذكر الأيمان

وروى عن ابن عباس : « هو كقول الله ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْنُومًا إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم ، لا يستطيعون أن يسقطوها بحير » [التيسير ٢٢ : ١٥٠]

الفصل الثالث

صفات الله تعالى الخيرية

١- الوجه :

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بصيغة الجمع (٣٨) مرة ، لا علاقة لها بذاته تعالى ، وورد بصيغة الإفراد (٣٤) مرة ، المسند منها إلى الله تعالى (١١) مرة .

منها :

(أ) قوله تعالى ﴿ كُلُّ مَن عَالِيهَا فَاوٍ ۖ يَنتَقِى ۚ وَنَحْنُ رَبُّكَ ذُو الْعَرْشِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن ٢٦ : ٢٧] .

فان ابن عباس رضي الله عنهما « الوجه عبارة عنه تعالى » [تفسير القرطبي ٦٣٣] .

وقال الشوكاني « الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده » [ضع القدير ٥ / ١٣٦] .

(ب) وقال تعالى : ﴿ وَقَوَّ الْأَشْرُقَ وَالْمَغْرِبَ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس : (فَمَنْ وَجَّهَ إِلَهُهُ) قال :
قبله الله . [صح القدير ١ / ١٣٢ والدر المشور ١ / ٢٦٧]

وأخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، والترمذي ،
والبيهقي في مسنده عن معاهد (فَمَنْ وَجَّهَ إِلَهُهُ) قال . قبله
الله . [الدر المشور ١ / ٢٦٧]

وحكى المبري عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال في هذه
الآية . «يعني والله أعلم : فَمَنْ وَجَّهَ إِلَهُهُ» وحكم الله إليه
[الأسماء والصفات ٤٤٣ ط الكردى] .

ويقول ابن تيمية (فَمَنْ وَجَّهَ إِلَهُهُ) أي قبله الله ووجهة
الله ، هكذا قال جمهور السلف . [الماوى ٢ / ٤٢٩]

ويقول في موضع آخر عن هذه الآية . «ليست من آيات
الصفات» [الفتاوى ١ / ١٦]

(ص) وقال تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾
[الفصل : ٨٨]

روى الإمام السيوطي في (الدر المشور) ثلاث روايات عن
ابن عباس ، ومعاهد ، وسفوان في معنى ﴿وَلَا وَجْهَهُ﴾ .

«إلا ما أريد به وجهه» [٤٤٧ / ١]

وقال الإمام البخاري في صحيحه : «كل شيء هالك إلا
وجهه» إلا منكه ، ويقال إلا ما أريد به وجه الله .

قال ابن حجر في شرحه : «قوله إلا وجهه» إلا منكه ،
وفي رواية السعي . وقال معمر ، فذكره . ومعمر هذا هو أبو
عبدة بن النسي . وهذا كلامه في كتابه (مخارج القرآن) لكن
يلغظ : «إلا هو» وكذا يقفه الطبري عن بعض أهل العربية .
وكذا ذكره المراء ، وقال ابن النسي . قال أبو عبدة إلا وجهه
أي جلالة وقيل إلا إياه ، تقول نكرم الله وجهه . أي
أكرمك الله . [الفتح ٨ / ٣٦٤]

وما ذكره شارح البخاري مذكور في (جامع البيان) (٢٠ /
١٢٧) وفي الدر المشور ١ / ٤٤٧ .

وقال ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ «ومما يُراد في الكلام .
(لوحة) يقول الله عز وجل : ﴿وَلَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يُدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْعَدْوَى وَالْعَنِي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام ٥٧]
أي يريدونه بالدعاء ، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾

[الفصل ٨٨] أي: «إلا هو»، ﴿فَأَبَسَا نُورُوا فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾
[البقرة: ١١٥] أي: «ظلم الله»، و﴿إِنَّمَا نَطَعُكَ لَوْحَهُ أَفْهَ﴾
[الإنسان: ٩] أي: «لأنه»، «أما يدل تشكك العرب من ٢٥٤

ويقل ابن تيمية في تفسير هذه الآية عن أبي العافية قوله
«إلا ما أريد به وجهه»، وعن جعفر الصادق «إلا ديه»
العتاوي [٢/ ١٢٧].

ويقول ابن تيمية في موضع آخر «المنى كل شيء
هالك إلا ما أريد به وجهه» ويقول «إن هذا هو المأثور،
والمسقول عن السلف والمفسرين» [تفسير ٢: ٢٨]

(د) وقال تعالى: ﴿فَتَاتِ دَا الْقَرْقِ حَقِّهِ وَالْيَتَكَ وَأَنْ
السَّيْلُ ذَلِكَ حَيْرٌ لِّدَيْكَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْبِلُونَ﴾ وَمَا يَتَّبِعُ مِنْ رَبِّ لَبِزُوا فِي أُمُورٍ لَّامِينَ فَلَا
يَرَوْنَ عَذَابَ اللَّهِ وَمَا يَتَّبِعُ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُضْمَرُونَ﴾ [الزوم ٢٨ ٢٩]

قال الطبري: «قوله: ﴿ذَلِكَ حَيْرٌ لِّدَيْكَ تُرِيدُونَ وَجْهَ
اللَّهِ﴾ يقول بمعنى ذكره، يتاء هؤلاء حقوقهم شيء، أي: شيء

عنده حير لدن يريدون أنه يأتيهم ذلك» [التفسير ٢٢ ٢٥]
وقال تعالى: ﴿يَا نَطَعُكَ لَوْحَهُ أَفْهَ﴾
﴿شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩].

قال الصري: «طلب رضا الله ونعمته إليه» [تفسير ٢٩ ٢١٠].
هكذا ترى أن لسف ابتداء بحسب الأمة الإمام بن عباس
رضي الله عنهم ومرور العلماء القرون الثلاثة محض،
وسفيان الثوري، وجعفر الصادق، وأبي العافية، وأبي عبيدة
معمر بن نضلة، ولقراء، والبحري، وابن قتيبة، والطبري،
وغيرهم يؤولون (الوجه) -

وهكذا يؤول ابن تيمية (الوجه) ويعترف بأن هذا هو،
«المأثور والمسقول عن السلف والمفسرين» [العتاوي ٢: ٢٨]

ورد لفظ (العين) في القرآن الكريم مفردا ومثنى وجمعا (٥٧) مرة ، المسند منها إلى الله تعالى (٥) مرات ، إحداها بالافراد ، ونقيتها بالجمع (أعين) . ولستمها ليرى تأويل السلف بها :

(أ) قال تعالى . ﴿وَأَلْفَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِنِّي وَلَوُتَّعَ عَلَى عَيْتِي﴾ [طه : ٣٩] .

قال الإمام الشوكاني . ﴿وَلَوُتَّعَ عَلَى عَيْتِي﴾ أي . ولتري وتعدي بمرأى مي . يقال : صاع الرجل حارته إذا رباها ، وصاع فرسه ، إذا داوم على عمله والقيام عليه ، وتفسير على عبي بمرأى مي صحيح . قال المحاسن : وذلك معروف في اللغة .

وقال أبو عبيدة ، وابن الأسياري : إن المعنى : لتعدي على محنتي ووردي ، تقول : أتحد الأشياء على عبي أي على محنتي ، قال ابن الأسياري : اعين في هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاحتياط من قوف العرب عند فلاح على عبي . أي

وقال الإمام الطبري . : اختلف أهل التأويل في تأويل ﴿وَلَوُتَّعَ عَلَى عَيْتِي﴾ ثم قال : فأولى لتأويل به التأويل الذي أوله قتادة وهو ﴿وَأَلْفَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِنِّي﴾ ولعمري على عبي . ألفيت عليك المحبة مني . وغني بقوله ﴿وَلَوُتَّعَ عَلَى عَيْتِي﴾ بمرأى مي ومحبة ورادة : [تفسير ١٦ : ١٦٦] .

(ب) وقال ندي ﴿وَأَصْبَحَ أَلْفَاكُ بِأَعْيُنِي﴾ [هود : ٣٧] . روى الإمام البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَأَصْبَحَ أَلْفَاكُ بِأَعْيُنِي﴾ قال : بعين الله تبارك وتعالى : [الأسماء والصفات ٤٤٧ ط . الكردي] .

ويقول البيهقي : ولجمع فيها على معنى التعظيم السابق .

وما ذكره البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ذكره الإمام بصري في تفسيره عنه وعن قتادة (١٢ : ٣٤) .

(ج) وقد ندي ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ صَبِّحْ نَفَاكُ بِأَعْيُنِي وَوَحْيِنَا﴾ [المؤمنون : ٢٧] .

يقول ابن جرير : يقول . فقنا له حين استصرا على
كفرة قومه : اصنع لعلك وهي السعينة (بأعينا) يقول بمرأى
ما ومضطر (ووحيا) يقول . وتعلما إياك صعتها [التفسير
١٨ / ١٧] .

(د) وقال تعالى : ﴿ وَحَنَّهُ عَلَى ذَابِ الْوَحْشِ وَدُمِّرَ ﴾ [التحرى
بأعينا حره : لَمَنْ كَانَ كَفَرًا] [التفسير : ١٣ - ١٤] .

قال الطبري . : وموه . ﴿ تحرى بأعينا ﴾ يقول حل ثاؤه
تحرى السعينة التي حملنا بوخا فيها بمرأى ما ومضطر ، وذكر
عن سفيان في قوله . ﴿ تحرى بأعينا ﴾ يقول : بأمرنا ، [جامع
البيان ٢٧ / ٩٤] .

هـ - وقال تعالى : ﴿ وَصَبْرَ لَمَّا رَأَىٰ رَبَّكَ فَتُبَّكَ بِأَعْيُنًا ﴾
[الطور : ٤٩] .

يقول الإمام الطبري . : يقول تعالى ذكره لربه محمد ﷺ
وصبر لحكم ربك يا محمد الذي حكم به عندك ، وامض
لأمره وبهيه ، وبلغ رسالته ﴿ فَبُتَّكَ بِأَعْيُنًا ﴾
يقول حل ثاؤه فَبُتَّكَ بمرأى ما براك وبرى عملك ،

وحس بحوطك وحفظك ، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من
المشركين [التفسير ٢٧ / ٤٠] .
هكذا أوّل السلف كل الآيات القرآنية التي ورد بها المعين
والأعين .

ورد ذكر (يد) في القرآن الكريم (١٠٣) مرة ، الممسد
 منها إلى الله تعالى (١٥) مرة ، بعضه جاء بصيغة الإفراد ،
 وبعضه جاء بصيغة التثنية ، وبعضه بصيغة الجمع (٢) ومن
 ذلك :

أ- قوله تعالى ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمُ اللَّهُ
 بِدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَكُفُّ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى
 بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح ١٠] .

قال الإمام ابن جرير الطبري «وفي قوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
 أَيْدِيهِمْ﴾ وجهان من التأويل :

أحدهما يد الله فوق أيديهم عدد البيعة ؛ لأنهم كانوا
 يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ .

والآخر : قوة الله فوق قوتهم في نصرته رسول الله ﷺ ؛

(٢) قال ابن حجر في شرحه صحيح بخاري «ويأتي في اللغة بعض
 المعاني كثيرة ، جمع ما منها خمسة وعشرون معنى ما بين خمسة
 ومجازه . فتح الباري ١٣ / ٤٠٥ .

لأنهم إنما بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته على العدو ؛
 [جامع البيان ٢٦ / ٢٦] .

ب- قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا إِلَٰهَيْنِ مَأْمُورًا لَا يُقْتَلُونَ بِأَيْدِي
 اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَأَمَرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سجرات ١١] .

روى الإمام الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في
 معنى الآية : «هو أن يتكلموا بين يدي كلامه» [المرجع السابق
 ٢٦ / ١١٦] .

ج- قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ
 وَلَعُمُوءُ مَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُعْزِزُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [العنكبوت
 ٦٤] .

قال الإمام الطبري : «يقول تعالى ذكره ﴿وَقَالَتِ
 الْيَهُودُ﴾ من بني إسرائيل ﴿يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ﴾ يعنون أن حير الله
 ممسك ، وعطاءه محسوس عن الاتساع عليهم ، كما قال
 تعالى ذكره في تأديب بني نضير ﴿وَلَا تَحْطَلْ بِدِينِ اللَّهِ إِلَى
 غُفَّتْ وَلَا تَنْصَحْ كُلَّ مَنْ أُسْطِ﴾ .

وأما وصف تعالى ذكره ليد بذلك والمعنى : العضاء ؛

لأن عطاء الناس، وبديل معروفهم العالب بأيديهم، فحرى استعمال الناس في وصف بعضهم بعضاً إذا وصفوه بخود وكرم، أو بحل وشح وصيق، بإضافة ما كان من ذلك من صفة الموصوف إلى يديه.

فخاصهم الله بما يتعارفونه، ويتجاوزونه يسهم في كلامهم فقال ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ﴾ يعني بذلك أنهم قالوا: إن الله يحل علينا، ويمعنا قصده، فلا يفصل كالمعلولة يده، الذي لا يقدر أن يسطحها بعضاء، ولا يبدل معروف، تعالى الله عما قال أعداء الله فقال الله مكذبهم، ومحيرهم بسحقه عليهم ﴿عُتِّبَ أَيْدِيهِمْ﴾ جامع آيات ٦/ ٢٩٩.

د قوله تعالى ﴿قَالَ يَنْفُسُ مَا صَدَقْتُ أَنْ تَنْجِدَ لِمَا حَقَّقْتُ مَدَى اسْتَكْرَتْ أَمْ كُنتَ مِنَ الْغَابِ﴾ [من ٧٥] قال الإمام الشوكاني وأي ما صرفك وصدك عن السجود لما نولت حلقه من غير واسطة، وأصاف حلقه إلى نفسه تكريفاً له ونشريقاً، مع أنه سبحانه خالق كل شيء،

كما أضاف إلى نفسه الروح، واليت، والماقة، والمسجد. فإن محاذا اليد هنا بمعنى التأكيد والنصرة محاراً، كقوله ﴿وَيَقْنِ وَجْهَ رَبِّكَ﴾.

وقيل أرد بايد القدرة. يقال: مالي يهد لأمر يد، ومالي به يدان، أي قدرة.

ومنه قول الشاعر:

تَحُمَلْتُ مِنْ زَلْقَاءِ مَا لَيْسَ بُدُّ

ولا للجبال الراسيات يدان

وقيل: التشية في اليد للدلالة على أنها ليس بمعنى القوة والقدرة. بل للدلالة على أنهما صفتان من صفات ذاته سبحانه [فتح القدير ٤/ ٤٤٥].

مع ملاحظة أن التشية لا تدل دائماً على حصول العدد بدليل قوله تعالى ﴿فَعِذُّوا بَيْنَ يَدَيْ تَحَوُّكُ صَدَقَةٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ومع ملاحظة ما قاله الإمام الرازي «لو كان تخليق آدم باليدين يوجب مريد الاصطفاء، لكان تخليق النعام والأنعام

بالأيدي يوحى روحها على آدم في هذا الاصطفاء، لقوله تعالى في صفة تحليقها: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ [أساس التفسير ١٥٧].

مع ملاحظة أن إثبات صفة أخرى مؤثرة في خلق آدم عبر صفة القدرة التي يكون بها الإيجاد والإعدام مما لا دليل عليه، ولا تثبت صفاته تعالى إلا بالدليل.

هكذا يقل الطبري عن ابن زيد تفسيره للفظ (الأيدي) من سورة (ص) بمثله من سورة (الدريات).

فهل لنا - اقتداء بالإمام عبد الرحمن بن زيد ت ١٨٢ هـ أن نحمل الآية الثالثة على المعنى نفسه، وهي قوله تعالى في سورة (يس): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ (٧١) والآيات الثلاثة تكرر فيها لفظ (لأيدي) حقاً، وقد أوّل السلف (لأيدي بالقوة في آيتين منها؟

هـ قوله تعالى ﴿وَالنَّمَاءُ نَسْنَاهَا بِأَيْدِي رَبِّنَا نَسْجُونَ﴾ [الدريات: ٤٧].

قال الإمام الصبري: «يقول تعالى ذكره: والسماء بيهاها سقاً بقوة» وسجو الذي قبله في ذلك. قال أهل التأويل.

ثم ساق الطبري ست روايات كتبها نص على لفظ (بِقُوَّة) عن ابن عباس، وعن مجاهد، وعن قتادة، وعن منصور، وعن ابن زيد، وعن سعيد لتفسير ٢٧، ٧.

ويقول الإمام السهفي: «قال الله عز وجل ﴿وَالنَّمَاءُ نَسْنَاهَا بِأَيْدِينَا﴾ يعني: بقوة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (أيدي) قال مجاهد: «وعن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿وَالنَّمَاءُ نَسْنَاهَا بِأَيْدِينَا﴾ قال: يعني بقوة ١٤، لأسند الصواب ٢٥٣ ط. الكردي».

و لفظ (الأيدي) بالجمع ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات في سورة (الدريات) في الآية السابقة، والثانية في سورة (ص) وهي ليست دحلة في موضوعها، لكنها تريد أن تقر ما سجله لنا الإمام الطبري عنها، وهي قوله تعالى ﴿وَوَدَّكَ عَبْدًا دُوْدَ دَلَّابًا إِنَّهُ أَوَّلُ﴾ (ص ١٧).

قال ابن جرير «يعني بقوة. (د الأيدي). دا لقوة

والبطش الشديد في ذات الله، والعصر على طاعته.

ومما في عدة روايات عن ابن عباس والتابعين تؤكد ما قال.

ثم قال: «قال ابن زيد: قوته ﴿دَاوُدَ دَا الْأَذَى﴾ قال: القوة في عبادة الله، الأيد: القوة، وقرأ ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ بِأَيْدِي﴾ قال: بقوة» [جامع البيان ١٣٦/٢٣].

ر. وهالك ثلاث آيات قرآنية تتحدث عن قوة إرسال الرياح، وكيف أنه تعالى أرسلها ﴿بَشْرًا بَرَكَ يَدَيَّ وَتَحْتَوِي﴾.

وإذا تأملنا النص، وحلما أن الأيدي أصبحت في الآيات الثلاثة إلى صفة رحمته تعالى، وليس إلى ذاته جل في علاه. ح. ورد ذكر (اليمين) و(القصة) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ حَبِيبًا فَصْنَتْهُ يَوْمَ الْفَيْصَةِ وَلَنَسْمُونَ مَطْلُوتٌ يَمِينُهُ، مُتَحَنِّنٌ وَعَلَى عَنَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال لإمام الشوكاني ﴿وَالْأَرْضُ حَبِيبًا فَصْنَتْهُ يَوْمَ الْفَيْصَةِ﴾ القصة في اللغة ما قصت عليه بجميع كملك.

فأحبر سبحانه عن عظيم قدرته بأن الأرض كلها مع عظمها وكثافتها في مقدوره، كالشيء الذي يقص عليه القاهص بكفة، كما يقولون هو في يد فلان، وفي قبضته لشيء الذي يهون عليه انتصافه، وإن لم يقص عليه.

وكذا قوله. ﴿وَالنَّسْمُونَ مَطْلُوتٌ يَمِينُهُ﴾ فإن ذكر اليمين للمبالغة في كمال القدرة، كما يطوي لواحد ما الشيء المقدور له عليه يمينه، واليمين في كلام العرب، قد تكون بمعنى القدرة والملك.

قال الأحفش: «يمينه» يقول في قدرته، نحو قوته. ﴿أَوَمَا مَنَكُتُ أَيْتَنَكُمُ﴾ أي ما كانت لكم قدرة عليه، وليس الملك لليمين دون الشمال ومناثر الحصد، ومنه قوته سبحانه. ﴿لَأَحْذَا مِنْهُ بِأَيْمِينٍ﴾ أي بالقوة والقدرة [حج المدر] ١٧٥.

والأحفش المذكور شيخ القراء وشيخ لغة العرب ٢٠١ - ٢٩١ هـ.

ط. وورد ذكر (اليمين) دون ذكر القصة في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ نَقُولُ عَيْنًا بِغَيْرِ آفَاقٍ﴾ ٢٤ ﴿لَأَنذَرْنَا بِهِ يُالْتِمِينَ﴾ ٢٥ ثُمَّ نَقَلْنَا بِهِ الْوَيْتَ ﴿[الحاقة: ٤٥]﴾.

قال الإمام البيهقي: «قال انباء: اليمين القوة والقدرة.. وقال في قوله ﴿لَأَنذَرْنَا بِهِ يُالْتِمِينَ﴾ بالقدر والقدرة» [الأنباء والصفات ٤٦٥ ط الكردي].

٤- الجنب:

لم يرد لفظ (الجنب) في القرآن الكريم مصافاً إلى الله تعالى إلا في آية واحدة. وهي قوله تعالى: ﴿أَنْ نَقُولَ نَفْسٌ بِنَحْنَرُكَ عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لَيْسَ الشَّيْخِرِينَ﴾ [الرمر ٥٦].

قال الإمام الطبري: «قوله: ﴿عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ يقول على ما ضمنت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله.

وسبحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل» عن مجاهد في قوله: ﴿بِنَحْنَرُكَ عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ يقول: في أمر الله.

عن السدي قال: تركت من أمر الله [جامع البيان ٢٤ / ١١٩]. وما نسب الطبري إلى مجاهد ذكره البيهقي في «الأنباء والصفات» (٣٦١ = ٤٩٥ ط الكردي).

وقال الشوكاني: «معنى ﴿مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي على ما قرطت في طاعة الله. قاله الحسن.

٥- الساق :

قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَافٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُورِ
فَلا يَسْتَجِيبُونَ ﴿٢٧﴾ خَشَعَةَ أَبْصَارِهِمْ رِجْفُهُمْ وَلَهُ قَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى
الشُّجُورِ وَهُمْ سَائِلُونَ﴾ [القام : ٤٢-٤٣] .

روى الحافظ ابن سدة في كتابه . (الرد على الجهمية)
سده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿يَوْمَ
يُكْشَفُ عَنْ سَافٍ﴾ قال . «يكشف عن أمر عظيم» ثم قال . قد
قامت الحرب على ساق .

ودكر ابن سدة رواية أخرى عنه قال «شده الأحر» .
ورواية ثالثة فان ابن عباس . «عن شدة الأمر» .
ودكر رواية أخرى أن ابن عباس كان يقرأ . ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ
عَنْ سَافٍ﴾ بالهاء المفتوحة ، أي يكشف القيمة عن شدة
شديدة [ص ٣٨-٣٩] .

وقد روى الإمام الطبري عن ابن عباس بهذا المعنى إحدى
عشرة رواية- جامع البيان ٢٩ / ٣٨ .
وقال الإمام ابن سدة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) في كتابه .

وقال الصحاح . يعني على ما مرط في ذكر الله ، ويعني
به القرآن والعمل به .

وقال أبو عبيدة . ﴿فِي حَسْبِ اللَّهِ﴾ أي في ثواب الله
وقال القراء : الحب ، القرب والحوار ، أي في قرب الله
وحواره ، ومنه قوله : ﴿وَالضَّاحِبِ بِالْحَسْبِ﴾ ، والمعنى على
هذا : في طلب حوار وقرنه ، وهو الحنة ، وبه قال ابن
الأعرابي .

وقال لرحاح أي مرط في الطريق الذي هو طريق الله
من توحيده ، والإقرار بنبوة رسول الله ﷺ ، وعلى هذا
فالحسب يعني : الحجاب ، أي قصرت في الحجاب الذي يؤدي
إلى رضا الله .

ومنه قول الشاعر :

للناس جنب وللأمير جنب

أي لباس من حجاب ، والأمير من حجاب [فتح المديح ١ / ٢٧١] .

(تأويل مشكل القرآن) . فمن الاستعارة في كتاب الله قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ أي عن شدة من الأمر ، كذلك قال قتادة . وقال إبراهيم عن أمر عظيم .

وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والحد فيه ، شتر عن ساقه ، فاستعيرت (الساق) في موضع الشدة [١٣٧] .

وقد جمع الإمام البيهقي تأويلات السلف هذه وغيرها بآية الكريمة في الأسماء والصفات (٤٧٨ - ٤٨٢ ط . الكردي) .

واظر (معاني القرآن) للمراء حيث يقول : « يوم يكشف عن ساق » يريد . اقيامة الساعة لشدتها [١٧٧ / ٣] .

٦- الصمد :

قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿ [الإخلاص ١-٢] .

قال الإمام الفخر الرازي وذكر بعضهم في تفسير (الصمد) أنه : الجسم الذي لا جوف له ، ومنه قول من يقول لسداد لقارورة : الصماد ، وشيء مصمد ، أي صلب ليس فيه رخاوة . قال ابن قتيبة : وعنى هذا التفسير . ادان مبدأ من التاء .

واحتج قوم من جهال المشبهة بهذه الآية في إثبات أنه جسم ، وهذا باطل . لأن كونه "حدا" ينافي كونه جسداً ، فمقدمة هذه الآية دالة على أنه لا يمكن أن يكون المراد من الصمد هذا المعنى ، ولأن الصمد بهذا التفسير صفة الأجسام العبيطة ، وتعالى الله عن ذلك ② أسس التقديس ١١٧

وقال الإمام الصبري « قوله (لله الصمد) يقول تعالى ذكره . معبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ③ ١ التفسير ٣٠ . [٣٤١]

ويدكر ابن جرير من آراء المصمريين لهذا اللفظ (الصمد) :

«الذي ليس بأخوف ، ولا يأكل ولا يشرب» .

«هو الذي لا يخرج منه شيء» .

«هو الذي لم يلد ولم يولد» .

«هو الشئ الذي قد انتهى سؤده» .

«هو الباقي الذي لا يفنى» .

ودكر الإمام الرازي في تفسيره مجموعة كبيرة من آراء

العلماء في تفسير هذا اللفظ (الصمد) نقطع من بينها بعض

تأويلات السلف :

«قال ابن مسعود والضحاك الصمد ، هو الشئ الذي قد

انتهى سؤده» .

وقال الشئ الذي الصمد هو المقصود في الرغائب ،

المستغاث به عند المصائب .

وقال الحسين بن الفضل الحلبي الصمد هو الذي يفعل

ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا راد

لقضائه .

وقال قتادة : لا يأكل ولا يشرب ، وهو يطعم ولا يطعم ،

الباقي بعد فناء خلقه .

وقال الحسن المصري الذي لم ير ولا ير ، ولا يحور

عنه ، لروال ، كن ولا مكان ، ولا أين ولا أوان ، ولا عرش ،

ولا كرسي ، ولا حي ولا إسبي ، وهو الآن كما كان .

وقال أبي من كعب «الذي لا يموت ولا يورث ، وله

ميراث السموات والأرض» .

وقال سعد بن حبر : «إنه الكامل في جميع صفاته ، وفي

جميع أفعاله» [١٨٢/٣٢] .

وقال الإمام القرطبي «إنه الصمد أي الذي يصمد له في

الحاجات ، كما روى الضحاك عن ابن عباس ، قال الذي

يصمد إليه في الحاجات ، كما قال عز وجل ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ

الْصُرَّةُ فَلَيْتُمْ تَحْتَرُونَ﴾ قال أهل اللغة الصمد السيد الذي يصمد

إليه في النوازل والحوادث» [جامع الأحكام القرن ١٧٣٣]

هذه صائفة كبيرة من أقوال سلف في تأويل هذا اللفظ تكريم

(الصمد) وكلها يره الله عن لحسمه ويورثها حل في علاه .

٧- الفوقية :

قَالَ تَعَالَى ﴿وَهُوَ الْفَاحِرُ قَوْقَ عِبَادِهِ. وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْقَبِيرُ﴾ [الأنعام : ١٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿وَهُوَ الْفَاحِرُ قَوْقَ عِبَادِهِ. وَزَيْلُ عَلَيْهِمْ
حَقَّقَةً﴾ [الأنعام : ٦١].

قَالَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْأُولَى : «يَعْنِي يَقُولُهُ :
(الغالب) المدلل المستعبد خلقه ، العالي عليهم ، وإِذَا قَالَ :
﴿قَوْقَ عِبَادِهِ﴾ لَأَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ تَعَالَى بِقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ ، وَمِنْ
صِفَةِ كُلِّ قَاهِرٍ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ مُسْتَعْلَبًا عَلَيْهِ

مَعْنَى الْكَلَامِ إِذْ : وَاللَّهُ الْعَالِمُ عِبَادَهُ ، الْمُدْلِلُهُمْ ، الْعَالِي
عَلَيْهِمْ بِتَذْلِيلِهِ لَهُمْ ، وَخَلَقَهُ إِيَّاهُمْ ، فَهُوَ مَوْفِقُهُمْ بِقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ ،
وَهُمْ دُونَهُ ، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ يَقُولُ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ فِي عُلُوِّهِ عَلَى
عِبَادِهِ ، وَقَهْرِهِ إِيَّاهُمْ بِقُدْرَتِهِ ، وَفِي سَائِرِ تَنْدِيرِهِ ، الْحَبِيرُ بِمَصَانِعِ
الْأَشْيَاءِ وَمَصَارِفِهَا ، الَّذِي لَا يَحْصِي عَلَيْهِ عَوَاقِبُ الْأُمُورِ
وَبُودَائِجُهَا ، وَلَا يَقَعُ فِي تَنْدِيرِهِ حُلٌّ ، وَلَا يَدْخُلُ حِكْمَةٌ
وَيَدْخُلُ [جامع البيان ٧ / ١٦١].

وَقَدْ سَبَقَ الطَّبْرِيُّ أَبُو رَكْرِبًا الْعَرَاءُ ت ٢٠٧ هـ حَيْثُ قَالَ
فِي هَذِهِ الْآيَةِ ١٠ كُلُّ شَيْءٍ فَهَرُ شَيْئًا فَهُوَ مُسْتَعْلَبٌ عَلَيْهِ (مَعْنَى
الْفَرَانِ ١ / ٣٢٩).

وَيَقُولُ ابْنُ حَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ : «يَقُولُ تَعَالَى
ذَكَرَهُ ﴿وَهُوَ الْفَاحِرُ﴾ وَاللَّهُ الْعَالِمُ خَلْقَهُ ، الْغَالِي عَلَيْهِمْ
بِقُدْرَتِهِ ، لَا الْمَقْهُورُ مِنْ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْنَامِهِمْ ، الْمُدْلِلُ الْمَعْلُوبُ
عَلَيْهِ لَذَلَّتِهِ» [التفسير ٧ / ١٦٦].

وَيَقُولُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ فِرْعَوْنَ ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ
فَنَهْرُونَ﴾ [الأعراف ١١٢٧]. وَإِذَا عَلِلُّوا عَلَيْهِمْ بِالْقَهْرِ. أَيْ
بِقَهْرِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ.

وَقَدْ يَسَا أَنْ كُلُّ شَيْءٍ عَالٌ بِقَهْرِ وَعِصَةِ عَلَى شَيْءٍ ، فَإِنْ
الْعَرَبُ تَقُولُ : هُوَ فَوْقَهُ [التفسير ٩ / ٢٦].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَبِيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام ٣].
«هُوَ إِيَّاهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ ، وَإِلَهُ مِنْ فِي الْأَرْضِ» [نرد على
الزبدفة والجهمة ص ٩٤].

«الموقية فوقية قهر، ومكانة، ومرة، وليست فوقية مكان وجهة».

وقال تعالى ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

يعول الطبري في بيان معنى اسمه (العلي) سبحانه «العليّ الفاعل من قولك: علا يعلو علواً، إذا ارتفع فهو عال وعليّ والعلّيّ، ذو العلو والارتفاع على حقه قدره» [التفسير ١٣/٣].

ويذكر الطبري مثل هذا التفسير ليعط (العلي) في تفسير آية سورة (اشورى) وهي قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [١٧: ١]، يقول: «هو ذو علو وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه؛ لأنهم في سلطانه، حارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته» [التفسير ٢٥].

[٧]

فهو علو قدرة وقهر وسلطان.

وقال تعالى: ﴿يَسْمِعُ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

قال الإمام القرطبي: «قال ابن عباس أستم عذاب من في السماء إن عصيتهم» [الجمع لأحكام القرآن ٦٦٩٤].

ويذكرها ما قاله القاضي عياض رحمه الله، ونقله الإمام النووي في شرحه لصحيح الإمام مسلم بمناسبة هذه الآية: قال: «لا خلاف بين المسلمين قاطبة: فقيهم، ومحدثهم، ومتكلمهم، ونظارهم، ومقلدهم أن الطواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء، كقوله تعالى: ﴿يَسْمِعُ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ ونحوه، ليست على ظاهرها، بل متأولة عند جميعهم» [٢٤/٥].

قال تعالى . ﴿لَرْجُزُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾ [طه ٥] .
قال الإمام البحاري في صحيحه : « قال مجاهد :
استوى : علا على العرش » (الصح ١٢ / ٤١٣) .
ومن المعاني التي ذكرها الإمام الطبري للاستواء قال .
« الاستواء هو العلو ، والعلو هو الارتفاع ، ومن قال ذلك .
الربيع بن أنس » [جامع البيان ١ / ١٩١] .
وقال الإمام القشيري « مثل ذو النون المصري (ت
٢٤٥ هـ) عن قوله تعالى . ﴿لَرْجُزُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾
فقال . أنت داته ، وبقي مكانه ، فهو موجود بذاته ، والأشياء
موجودة بحكمه ، كما شاء سبحانه .
وسئل الشبلي (٢٤٧ ٣٣٤ هـ) عن قوله ﴿لَرْجُزُ عَلَى الْعَرْشِ
أَسْتَوِي﴾ فقال . الرحمن لم يزل ، والعرش بالرحمن استوى .
وقال جعفر الصادق . من رعم أن الله في شيء ، أو من
شيء ، أو على شيء ، فقد أشرك ؛ إذ لو كان على شيء لكان
محمولاً ، ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان من
شيء ، لكان محدثاً » [الرساله القشيرية ١ - ٤٠] .

تكرر لفظ « مع » متصلاً بالله تعالى في عدة آيات قرآنية
ربما أوهمت أن داته تعالى متصلة بذاته محبوباته المذكورة
في كل آية . نعرضها فيما يلي لنرى تأويل السلف لها :
قال الإمام القشيري رحمه الله : « سأل ابن شاهين الحفيد
(ت ٢٩٨ هـ) عن معنى « مع » فقال : مع على معيين :
مع الأنبياء بالصرة والكلاية ، قال الله تعالى . ﴿إِنِّي
مَعَكُمْ كَمَا أَسْمَعُ وَلَوْ﴾ .
ومع العامة بالعلم والإحاطة ، قال تعالى . ﴿مَا يَكُونُ
مِنْ شَيْءٍ ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ﴾ . [الرسالة ١ / ٤٠] .
وقد وقف الإمام الصري مع أغلب الآيات القرآنية هذه
بأولها كما يلي :
قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْقَائِلِينَ﴾ [سورة ١٦٣] .
قال رحمه الله . « وأما قوله . ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْقَائِلِينَ﴾ فإن
تأويله . فإن الله ناصره وظهيره ، وراعي بعينه . كقول القائل
افعل يا فلان كذا وأنا معك . يعني : إني ناصرك على فعلك
ذلك ، ومعيتك عليه » . [الضمير ٢ / ٣٨] .

قوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَقَّةَ مَعَ الْتَائِبِينَ﴾ [البقرة : ١٩١] .
قال رحمه الله . « يعني حل ثأره : واعلموا أن الله يحب
المتقين الذين يتقونه بأداء فرائضه ، وتحب محارمه » .
[التفسير ٢/ ٢٠٠] .

قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَمَعَ الْمُتَحَيِّينَ﴾ [المكرب ٦٩] .
قال رحمه الله . « وإن الله لمع من أحسن من حقه
فجاهد به أهل الشرك مصداقاً رسول الله فيما جاء به من عند
الله بالعدل له ، والنصرة على من حامد من أعدائه » . [التفسير
١٥، ٢١] .

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد ١٤] .
قال رحمه الله . « وهو شاهد لكم أيها الناس أيما كنتم ،
يعلمكم ، ويعلم أعمالكم ، ومتقاكم وشواكم ، وهو على
عرشه فوق سماواته السبع » . [التفسير ٢٧/ ٢١٦] .
ويروي الطبري في تفسيره عن الصحاح في تفسير : ﴿مَا
يَكُونُ مِنْ غَوَى لُنْتُمْ﴾ إلى قوله : ﴿هُوَ مَعَهُمْ﴾
[المجادلة : ٧] .

قال : هو فوق العرش ، وعلمه معهم . [التفسير ٢٨/ ١٢] .
هكذا أول السلف المعية ، وبما جئ القارئ بمؤول آخر ،
لكنه ليس من السلف ، إنه الذي حارب التأويل ، وأبكر المحار
في اللغة والقرآن الكريم ، وشع هو وأتباعه على المسؤولين ،
ورمهم بما لا يحور ، ذلك المؤول هو الإمام ابن تيمية رحمه
الله .

أما في الآن المحلل الخامس من مجموع فتاويه ، وفيه :
« فصل » في الجمع بين علو الرب عز وجل ، وبين قربه من
داعيه وعابديه ، جاء فيه :
« والمعية معتان . عامة ، وخاصة .

فالأولى كقوله . ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ .
والثانية : كقوله . ﴿إِنَّ أَقَّةَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
يُحْسِبُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات » .
قال : « وقد اختلف الناس في هذا المقام أربع فرق » ، فذكر
الثلاثة الأولى . ثم قال : « وأما القسم الرابع . فهم سلف الأمة
وأئمتها أئمة العلم والدين ، من شيوخ العلم والعبادة : فإنهم
أثبتوا وآموا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كنه ، من غير

تحريف للكلم ، أثبتوا أن الله تعالى فوق سمواته ، وأنه على عرشه ، بائن من خلقه ، وهم منه بائون ، وهو أيضاً مع العباد عمومًا بعلمه .

ومع أسياؤه وأوليائه بالبصر والتأييد والكماية .

وهو أيضاً قريب محيب ، فهي آية الحوى دلالة على أنه عالم بهم .

وكان النبي ﷺ يقول . « اللهم أنت الصاحب في السفر ، والحلقة في الأهل ، فهو سبحانه مع المسافر في سفره ، ومع أهله في وطنه .

ولا يلزم من هذا أن تكون داته محيطة بدواتهم » (٥٠٢٦ - ٢٣١) .

هكذا نرى ابن تيمية :

١ - بصرف لفظ « مع » عن معناه الطاهر المتأدّر الذي يعني اختلاط الدوات ، واجتماعها في مكان .

٢ - يذكر معين آخرين للمعبشة بعد أن قسمها إلى عامة وخاصة يتناسان مع تربيته الله تعالى عن الحسبية وتوابعها .

٣ - لا يكفي بتأويله هو ، بل أكده بسبسته إلى سلف الأمة وأئمتها أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة .

وليس هذا هو الموضع الوحيد الذي أوّل فيه ابن تيمية ، بل له مواضع كثيرة اضطّر فيها إلى استعمال ما حرّمه على غيره ، وشُرّ من أحله هذه الحرب التي ما رأت مستمرة على أيدي أتباعه ، بل ويعترف أن هذا التأويل هو مذهب السلف ، بل ويقبل بعينه أقوالهم ، اقرأ ما كتبه في موضع آخر .

« ثبت عن السلف أنهم قالوا : هو معهم بعينه ، وقد ذكر ابن عبد البر وغيره . أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله ، وهو مأثور عن ابن عباس ، والصحاح ، ومقاتل بن حيان ، وسعيد الثوري ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم » . (الغاوى ٥ / ٢٩٥) .

ثم راح ابن تيمية بغفل نصوص هؤلاء العلماء الخمسة التي تؤيد تأويله للمعبشة .

وأما تقسيمه المعبشة إلى - معبشة عامة ، ومعبشة خاصة ، وقوله « فلو كان المراد أنه بداته مع كل شيء ، لكان التعميم يناقض التحصيل ، فإنه قد علم أن قوله . « لَا تُخْشَرَنَّ إِنْ »

اللَّهُ مَعَكُمْ ﴿١٠﴾ أراد به تخصيصه وأما بكر دون عدوهم من الكفار .

وكذلك قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ ﴿١١﴾ حصصهم بذلك دون الظالمين والعجابر .. فامتنع أن يكون قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يدل على أن ذاته محتلفة بدووت الخلق ، وأيضا فإنه امتنع الآية بالعلم ، وحتمها بالعلم ، فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم بهم .. ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه ، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسبطان ، ويحصن بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد . [الفتاوى ٥/٤٩٧] .

أقول : إن تفسيره للمعية هكذا ليس من بيات أفكاره ، فقد صوّرا ما كتباه في هذا الموضوع بنص الإمام الحنيد رحمه الله ، وهو قوله بقرون ، وعيه هذا التقسيم .

١٠- القرب :

ورد وصف الله تعالى بالقرب في عدة آيات قرآنية منها . قوله تعالى ﴿وَلَعَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَقُلُّ مَا نُوسِسُ بِهِ . فَسَمِعَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [١٦] .

قال ابن جرير الطبري : « وقد اختلف أهل العربية في معنى قوله . ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ فقل بعضهم معه نحن أمك به ، وقرب إليه في المقدره عليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ بالعلم بما توسوس به نفسه . [التفسير ٢٦ ١٥٧] فالطبري يرتضي تأويل القرب بالقدرة أو بالعدم لا بما يستلزم الجسمية والمكانية .

وقوله تعالى : ﴿فَوَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفَ ﴿١٢٢﴾ وَأَنَّهُ جَبِينٌ مُنْتَبِهُونَ ﴿١٢٣﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الروم] .

٨٢- ٨٥ .

يقول الطبري : « ونحن أقرب إليه منكم ، يقول . ورسد الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ، ولكن لا تبصرون » . [التفسير ٢٧ ٢٠٩]

وبهذا يؤول الإمام الطبري القرب في الآية بقرب ملائكة
تعالى ، وليس قرب ذاته المحال ، فيصرف النص عن ظاهره ،
حيث إن لقرب يكون بين جسمين ، وفي مكان وهذا
المعنى مستحيل على الله تعالى .

ولتفي مرة ثانية بمن أعد الحرب على التأويل ، وأكر
المجاز في اللغة والقراء الكريم لراه يؤول الآيتين المذكورتين
تأويلاً مجازياً ، بل وبسبب ذلك إلى المفسرين المتقدمين من
السلف ، ولنقرأ ما كتبه :

قال ابن تيمية . « وأما قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
وَعَسَىٰ أَن يَرْجِعَ بِهِ ۚ نَسْتُمْ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَتَّىٰ الْوَرِيدِ ۚ ﴾ [١٦] إذا
سَمِعَ السَّمْعَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَوْلَ ۚ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا
لَدَيْهِ رَجِيبٌ عِنْدٌ ۚ » .

وقوله : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُمُومَ ۚ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ
نَظُرُونَ ۚ ﴾ [١٧] وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ۚ .
فالمراد به : قربه بالملائكة .

وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف .
قائلاً : ملك الموت أدنى إليه من أهله ، ولكن لا تنصرون الملائكة .

وقد قالت طائفة ﴿ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ۚ ﴾ بالعدم . وقد
بعضهم . بالعدم والقدرة ، ولفظ بعضهم . بالقدرة والرؤية .

وهذه الأقوال ضعيفة ، فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه
بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا أن يقولوا بالعدم
والقدرة والرؤية . ولكن بعض الناس لما صوا أنه يوصف
بالقرب من كل شيء ، تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء ، قادر
على كل شيء .

وكانهم صوا أن لفظ (القرب) مثل لفظ (المعية) .
[المدى ٥/٥٩٤] .

وقال ابن تيمية بعد أن ذكر قوله تعالى . ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۚ ﴾
(البقره ١٨٦) ، وحديث . « يكمل لا تدعون أصم ولا عائناً ، إن
الذي تدعونه سميع قريب » قال : « وطائفة من أهل السنة
يشرح بقرب في الآية والحديث بالعدم ، يكون هو المقصود
فإنه إذا كان يعلم ويسمع دعاء الداعي ، حصل مقصوده ،
وهذا هو الذي انقضى أن يقول من يقول : إنه قريب من كل
شيء ، بمعنى العلم والقدرة ، فإن هذا قد قاله بعض السلف كما

تقدم عن مقاتل بن حيان ، وكثير من الحلف .

لكن لم يقل أحد منهم . إن نفس ذاته قريبة من كل شيء .
وهذا المعنى يقربه جميع المسلمين . من يقول : إنه فوق
العرش ، ومن يقول : إنه ليس فوق العرش . [الماوى ٥٠ / ٥٠٠] .
من هذين النصين يتبين بوضوح أن ابن تيمية :

١ - معنى المعنى الظاهر المتبادر الموهوم للعرب « لم يقل
أحد منهم . إن نفس ذاته قريبة من كل شيء » أي انقرب
المادي ، قرب الذوات والأجسام .

٢ - أنه هو « جميع المسميين » يرون وحوب تأويل
لقرب في الآيات انقرانية ، والأحاديث النبوية .

٣ - أنه يرى تأويل « انقرب » في الآيتين الأوليين (اية
سورة ق ، واية سورة الواقعة) بقرب ملائكته ، وأن هذا صحيح
السبب ، وهذا هو المحار الذي أنكره . ها هو يستعمله !!

٤ - أن بعض السلف أول الآيتين المذكورتين بالعلم ، أو
بالعلم والقدرة ، أو بالقدرة والرؤية ، وأنه يرى أن هذه الأقوال
صحيحة ، وسبب حطهم - النسوية بين لفظ « القرب » ، ولفظ
« المعية » ، ويرى أن بينهما فرقاً .

٥ - أن السلف أولوا « لقرب » في آية البقرة ، والحديث
النبوي بالعلم .

ومعنى مع ابن تيمية ، فراه يلاحظ فرقاً في صياغة
الآيات القرآنية المذكورة ، فلا بد أن يترتب على ذلك اختلاف
في المعنى والتأويل . فبعضها يأتي بصيغة الجمع مثل : ﴿وَمَنْ أَوْفَرَ
أَقْرَبُ﴾ ، وبعضها يأتي بصيغة المفرد مثل : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ،
وه تقربت إليه في الحديث النبوي .

يقول ابن تيمية : « وما يدل على ذلك أنه ذكره بصيغة
الجمع فقال : ﴿وَمَنْ أَوْفَرَ إِنَّهُ بِكُمْ﴾ ، ﴿وَمَنْ أَوْفَرَ إِنَّهُ مِنْ حِلِّ
الْوَرِيدِ﴾ ، فإن مثل هذا اللفظ قد ذكره الله تعالى في كتابه دل على
أن المراد أنه سبحانه يفعل ذلك بجموده وأعوانه من الملائكة ، فإن
صيغة « نحن » يؤولها المبتدع اسطاع عظيم اندي به جمود يتبعون
أمره ، وليس لأحد جسد يصعونه كصاع الملائكة ربهم ، وهو
خالقهم وربهم ، فهو سبحانه لعالم بما توسوس به نفسه .
وملائكته تعلم ، فكان لفظ « نحن » هنا هو المناسب

ولهذا لما ذكر الله سبحانه قربه من داعيه وعابديه قال :
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ

إِذَا دَعَاكَ ، فهذا هو نفسه سبحانه وتعالى القريب الذي
يجيب دعوة الداعي لا الملائكة ، وكذلك قال النبي ﷺ في
الحديث المتفق على صحته : « إنكم لا تدعون أصم ولا
غائبا ، إنما تدعون سميحا قريبا ، إن الذي تدعونه أقرب إلى
أحدكم من عنق راحلته » ، وذلك لأن الله سبحانه قريب من
قلب الداعي ، فهو أقرب إليه من عنق راحلته .

وقربه من قلب الداعي له معنى متفق عليه بين أهل الإثبات ،
الذين يقولون : إن الله فوق العرش ، ومعنى آخر فيه نزاع .

فالمعنى المتفق عليه عندهم يكون بتقريبه قلب الداعي
إليه ، كما يقرب إليه قلب الساجد ، كما ثبت في الصحيح :
« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ، فالساجد يقرب
الرب إليه ، فيدنو قلبه من ربه ، وإن كان بدنه في الأرض .

ومتى قرب أحد الشيئين من الآخر ، صار الآخر إليه قريبا
بالضرورة ، وإن قدر أنه لم يصدر من الآخر تحرك بذاته ، كما
أن من قرب من مكة ، قربت مكة إليه .

وأما قرب الرب قربا يقوم به ، بفعله القائم بنفسه ، فهذا
تنفيه الكلامية ، ومن يمنع قيام الأفعال الاختيارية بذاته ، وأما

السلف وأئمة الحديث والسنة ، فلا يمنعون ذلك ، وكذلك
كثير من أهل الكلام .

وقال : « من تقرب إلي شبرا ، تقربت إليه ذراعا » . وهذه
الزيادة تكون على الوجه المتفق عليه ، بزيادة تقريبه للعبد إليه
جزاء على تقربه باختياره ، فكلما تقرب العبد باختياره قدر
شبر ، زاده الرب قربا إليه ، حتى يكون كالمتقرب بذراع ،
فكذلك قرب الرب من قلب العبد ، وهو ما يحصل في قلب
العبد من : معرفة الرب ، والإيمان به ، وهو المثل الأعلى ،
وهذا أيضا لا نزاع فيه ؛ وذلك أن العبد يصير محبا لما أحب
الرب ، مبغضا لما أبغض ، موائيا لمن يوالي ، معاديا لمن
يعادي ، فيتحدد مراده مع المراد المأثور به الذي يحبه الله
ويرضاه . [الفتاوى ٥٠٧/٥ - ٥١٠] .

يبين من النص تفريقه بين ما جاء في القرب بصيغة
الجمع ، فيؤول بقرب الملائكة ، وبين ما جاء بصيغة الأفراد
فيؤول بتقريب قلب الداعي ، وقلب الساجد ، وقلب العابد
إليه ، فيجازيهم بما يحصل في القلب من معرفة وإيمان ، وغير
ذلك ، وهذا كله تأويل منه .

١١- الإتيان والمجيء :

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ
مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾
[البقرة : ٢١٠] .

روى القاضي أبو يعلى الحبلي عن الإمام أحمد رضي الله
عنه قال في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيَهُمُ ﴾ المراد به : قدرته وأمره ،
وقد بينه في قوله تعالى : ﴿ أَوَّلُ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ ومثل هذا في
القرآن : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ، قال : إنما هو : قدرته . [دفع شبه
التشبيه لابن الجوزي ص ١٤١] .

وقال الإمام الطبري : « اختلف في صفة إتيان الرب تبارك
وتعالى الذي ذكره في قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ
اللَّهُ ﴾ فقال بعضهم : لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه
عز وجل من المجيء والإتيان والنزول ، وغير جائز تكلف
القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله ، أو من
رسول مرسل ، فأما القول في صفاته وأسمائه ، فغير جائز لأحد
من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا .

وقال آخرون : إتيانه عز وجل نظير ما يعرف من مجيء

الجائي من موضع إلى موضع ، وانتقاله من مكان إلى مكان .
وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ
اللَّهُ ﴾ يعني به : هل ينظرون إلا أن يأتيتهم أمر الله ، كما يقال :
قد خشينا أن يأتينا بنو أمية . [مراد به : حكمهم] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : هل ينظرون إلا أن يأتيتهم
ثوابه وحسابه وعذابه .

كما قال عز وجل : ﴿ بَلْ مَكْرُ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ، وكما
يقال : قطع الوالي اللص ، أو ضربه ، وإنما قطعه أعوانه .
[الضهير ٢/٣٢٩] .

فالإمام ابن جرير يذكر هنا جميع الآراء : رأي المفوضة
الذين يقوضون معناه عداه إلى الله تعالى ويثرون الآية كما
جاءت .

ورأى المشبهة الذين يقولون : إتيانه مثل إتيان غيره .
ورأى المؤولة حسب نوع المجاز الذي اختاروه .

وينقل الإمام البيهقي رحمه الله عن الإمام أحمد بن حنبل
رحمه الله تأويله المجيء في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ
صَفًّا صَفًّا ﴾ بمجيء الثواب . [البداهة والنهاية لابن كثير ١٠/٣٢٧] .

وقال الحسن رحمه الله: ﴿وَجَاءَ رَيْثُكَ﴾ أي: أمره وقضاؤه. [تفسير القرطبي ٧١٤٥].

ومرة أخرى مع الإمام ابن تيمية حيث يذكر ما نسبته القاضي أبو يعلى، والإمام البيهقي إلى الإمام أحمد بن حنبل من تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ بأن المراد به: أمره.

فيذكر من نقله عنه، ومن وافقه عليه من أصحابه. وتأويل مجيء سورة البقرة وآل عمران يوم القيامة تحتاجان عن أصحابهما، كما ورد في الحديث الشريف. استمع إليه وهو يقول:

«وقد تأول قوم من المنتسبين إلى السنة والحديث (حديث النزول) وما كان نحوه من النصوص التي فيها فعل الربّ اللازم، كالإتيان والمجيء، والهبوط، ونحو ذلك، ونقلوا في ذلك قولاً لمالك، ولأحمد بن حنبل، لأن حنبلاً نقل عنه في المحنة أنهم لما احتجوا عليه بقول النبي ﷺ: «تجيء البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طيور صواف». ونحو ذلك من الحديث الذي فيه

إتيان القرآن ومجيئه.

وقالوا له: لا يوصف بالإتيان والمجيء إلا المخلوق.

فعارضهم أحمد بقوله.

وأحمد وغيره من أئمة السنة فسروا هذا الحديث بأن المراد به: مجيء ثواب البقرة وآل عمران. كما ذكر مثل ذلك من مجيء الأعمال في القبر، وفي القيامة، والمراد منه: ثواب الأعمال..

ثم إن الإمام أحمد في المحنة عارضهم بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ قال: قيل إنما يأتي أمره. [الفتاوى ٣٩٧/٥ - ٣٩٩].

فتأمل ما يذكره الإمام ابن تيمية منسوطاً إلى كبار الأئمة أمثال مالك وأحمد من تأويلات متعددة للنصوص التي بعضها يتصل بالله تعالى من الإتيان والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا وغيرها، وبعضها ليس من هذا القبيل، كإتيان سورة البقرة وسورة آل عمران، وإتيان الأعمال في القبر ويوم القيامة. هذا ما يذكره عدو التأويل، ومنكر المجاز في اللغة والقرآن الكريم رحمه الله.

الفهرس

٣	مقدمة
١١	مدخل
٢٢	الفصل الأول : التأويل معناه ومتى يجب
٢٩	الفصل الثاني : تأويلات السلف في غير صفاته تعالى
٤٩	الفصل الثالث : صفات الله الخيرية
٤٩	١- الوجه
٥٤	٢- العين
٥٨	٣- اليد
٦٧	٤- الجنب
٦٩	٥- الساق
٧١	٦- الصمد
٧٤	٧- الفوقية
٧٨	٨- الاستواء
٧٩	٩- المعبة
٨٥	١٠- القرب
٩٢	١١- الإتيان والمجيء